ثائر أبوصالح*

الحركة الوطنية السورية في الجولان في مواجهة سياسة الاحتلال ١٩٦٧-٢٠١٦

مقدمة:

لا شك، أن هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لم تكن فقط هزيمة عسكرية، بل كانت لها إسقاطات ونتائج كارثية على مستوى الإنسان العربي أينما وجد. فقد احتلت إسرائيل في غضون أيام قليلة، الجولان وسيناء والضفة الغربية والقدس، هذا ناهيك عن تحطيم سلاح الجو المصري في مطاراته، وانسحاب الجيوش العربية بشكل مذل، وترك المدنين يلاقون مصيرهم أمام الآلة العسكرية الإسرائيلية. لقد تفاجأ الإسرائيليون من سرعة الهزيمة العربية، لأنهم لم يتوقعوها، مما جعلهم يحكمون سيطرتهم وبزمن قياسي على المناطق المحتلة الجديدة.

ومما زاد من الاستهجان، إعلان سقوط القنيطرة عبر بلاغ رقم ٦٦، الصادر عن قيادة الجيش السوري، والذي أذيع عبر راديو دمشق في الساعة ٨:٤٦، وذلك قبل دخول الجيش الإسرائيلي إليها بأكثر من خمس ساعات ونصف،[١] مما يؤكد، بأحسن حال، حالة الضعف والارتباك التي حصلت على مستوى القيادة العسكرية للجيش السوري، وتمثلت بالانسحاب الكيفي غير المنظم للجيش، وبشكل هيستيري ومهين، مما أدخل الرعب لقلوب المدنيين أيضاً من مصير مجهول قد يواجهونه.

ومنذ العاشر من حزيران، أصبح الجولان تحت الاحتلال الإسرائيلي، خالياً من سكانه، ما عدا ست قرى استطاعت البقاء لأسباب سنأتي على ذكرها لاحقاً، أربعة من القرى، تقع في شمال شرق الجولان على سفوح جبل الشيخ وهي: مجدل شمس، بقعاثا، مسعدة، عين قنية، أما قرية سحيتا

* كاتب وباحث سياسي، الجولان السوري المحتل.

القريبة منهم، فقد دمرت لاحقاً تماماً، ونزح سكانها إلى قرية مسعدة، هذا إضافة إلى قرية سادسة تقع على نقطة تقاطع الحدود السورية اللبنانية الفلسطينية وهي قرية الغجر . لم يتجاوز تعداد سكان هذه القرى جميعاً، الذين بقوا في أراضيهم، ٧ آلاف نسمة، في حين كان عدد سكان الجولان حوالى ١٥٠ ألف نسمة، موزعين على حوالى ٢٢٣ قرية ومزرعة، تابعين لمحافظة القنيطرة.[٢] فماذا حصل في الجولان؟ وكيف تم إفراغه من سكانه ولماذا؟ كلها أسئلة بحاجة إلى إجابات موضوعية بعيداً عن المقولات والعبارات الدارجة، ثم كيف تعاملت إسرائيل مع من بقي في أرضه، وكيف تطورت سياستها على مدار سنوات الاحتلال تجاه هؤلاء السكان في القسم المحتل من الجولان؟.

ستحاول هذه الدراسة الإجابة على هذه الأسئلة، بدءاً من أحداث هزيمة حزيران ١٩٦٧ وإشكالاتها، وحتى اندلاع الثورة في سورية في آذار ٢٠١١ ، في محاولة لرصد التحولات الإستراتيجية في السياسة الإسرائيلية تجاه سكان الجولان السوري المحتل ، في مواجهة نمو الحركة الوطنية السورية في الجولان على مدار سنوات الاحتلال. ولهذا الغرض فقد تم تقسيم هذه الفترة التاريخية إلى مراحل متعددة ومختلفة المضمون، حيث اتبعت إسرائيل في كل مرحلة من هذه المراحل إستراتيجية ونهجا مختلفين عن الفترات السابقة. ومن ثم سيتم إجمال نتائج هذه السياسات، بهدف فهم آلية تطورها وصيرورتها، وصولاً لوضع رؤية مستقبلية لعلاقة السكان مع الدولة المحتلة من جهة، ولعلاقتهم مع وطنهم الأم سورية من جهة أخرى .

لقد تم تقسيم الفترة الممتدة من حزيران ١٩٦٧ وحتى اليوم إلى مراحل تاريخية، وفقاً للأحداث والتحولات المهمة محلياً وإقليمياً، والتي أثرت على سياسة إسرائيل واستراتيجيتها المتبعة تجاه السكان السوريين في الجولان المحتل:

- **المرحلة الأولى:** أحداث حرب حزيران ١٩٦٧ ، وإفراغ الجولان من سكانه. الرواية العربية في مقابل الرواية الإسرائيلية.
- **المرحلة الثانية:** ١٩٦٧–١٩٧٣ تمثلت هذه الفترة بحدثين مهمين : الأول إفشال المخطط الإسرائيلي في تقسيم سورية ولبنان إلى دويلات طائفية، والتي سعت إسرائيل لتنفيذه بعد الحرب، مستفيدة من الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية، والضعف العربي العام بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، والثاني، بداية تشكل الحركة الوطنية في الجولان السوري المحتل.
- **المرحلة الثالثة:** تمتد هذه الفترة منذ نهاية حرب تشرين ١٩٧٣ ، وحتى صدور قرار ضم الجولان لإسرائيل في ١٩٨١/١٢/١٤ . حيث حصلت في هذه الفترة أحداث مهمة، بدءاً باتفاقية فصل القوات لعام ١٩٧٤ بين سورية وإسرائيل، مروراً بوصول الليكود لسدة الحكم عام ١٩٧٧ ، حتى توقيع اتفاقية كامب دافيد بين مصر وإسرائيل، وانتهاءَ بضم الجولان . كان لهذه الأحداث تأثير كبير على سكان الجولان السوري المحتل من جهة ، وعلى السياسة الإسرائيلية من جهة أخرى، التي جعلتها تعيد صياغة استراتيجيتها بشكل جديد ومختلف.
- **المرحلة الرابعة:** وهي فترة المواجهة والمقاومة العلنية، حيث خرج السكان لمواجهة الاحتلال وسياساته، واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية عام ١٩٨٢ ، حيث شهدت اضراباً استمر حوالى ستة أشهر، وحصلت اعتقالات ومواجهات بين السكان والاحتلال احتجاجاً على قرار الضم ورفضاً له.
- **المرحلة الخامسة:** تمتد من عام ١٩٨٣ وحتى بداية التسعينات، والتي تميزت باستمرار المواجهات بين الاحتلال والسكان من جهة، وبداية الانقسام داخل الحركة الوطنية من جهة أخرى. وتمثلت هذه المرحلة باستراتيجية العصا والجزرة.
- **المرحلة السادسة:** هي الأطول زمنيا، امتدت عملياً من بداية التسعينات حتى آذار عام ٢٠١١ حين بدأت الثورة السورية. تميزت هذه المرحلة بترهل الحركة الوطنية نتيجة لتغيير الاستراتيجية الإسرائيلية، من استراتيجية الفرض وقهر السكان بالقوة، إلى استراتيجية النخر في النسيج الاجتماعي، عبرالتركيز على الجيل الصاعد والمؤسسات التربوية، حيث توقفت إسرائيل عن مواجهة السكان المباشرة. ومن جهة أخرى تميزت هذه المرحلة بجولات مفاوضات السلام المتعددة بين سورية وإسرائيل، والتي انعكس تأثيرها أيضاً على السكان.
- **المرحلة السابعة:** وهي مرحلة مابعد الثورة السورية في آذار ٢٠١١ . تميزت هذه الفترة بتسريع وتيرة الأسرلة من أجل ابتلاع الجولان بشكل نهائي، وربما ضم أقسام أخرى من سورية في حال تقسيمها، وهي الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة تجاه السكان السوريين في الجولان المحتل بعد الثورة السورية.

تدعي الرواية الإسرائيلية أنها احتلت الجولان نتيجة للاعتداءات المتكررة للجيش السوري عليها في المناطق المعزولة السلاح وفقاً لإتفاقية الهدنة بين سورية وإسرائيل لعام ١٩٤٩، ومن باب رد العدوان عن نفسها، شنت حرباً على الجيش السوري المعتدي واستطاعت أن تهزمه وتحتل الجولان، وكنتيجة لذلك نزح السكان السوريون من بيوتهم، مع انسحاب الجيش السوري بمبادرة منهم، فقد وجدت القرى والمدن خاوية على عروشها، إلا من بعض الأفراد هنا وهناك.

لقد حاولت أن أعتمد في هذه الدراسة على مصادر إسرائيلية على مبدأ «من فمك أدينك» لأتعامل مع الادعاءات الإسرائيلية فيما يتعلق بحرب ١٩٦٧، وما حصل للسكان السوريين في الجولان. وخصوصاً صناع القرار ،مثل موشيه ديان وايغال الون، وكذلك المختصون بالشأن السوري مثل موشيه معوز، وآيال زيسر، وايغال كيبنس الذي أورد إحصاءات مهمة للبلدات والقرى والمدن في الجولان عشية الحرب، وأرييه بار أون ، الذي أشغل منصب السكرتير العسكري لموشيه ديان أبان الحرب. أما فيما يتعلق بتطور الحركة الوطنية في الجولان واستراتيجيات إسرائيل تجاه الجزء المحتل منه، فالمصادر قليلة، فعدا كتاب عبد الستار القاسم «مرتفعات الجولان»، والذي تطرق فيه لأحداث الضم والإضراب، لا توجد أي دراسة جدية تتناول هذه الفترة الزمنية من تاريخ الجولان المحتل، فقد كانت هذه المنطقة على هامش الأحداث، حتى فرضت نفسها بقوة في أواسط الثمانينات.أما عن مخطط التقسيم وإنشاء دويلات طائفية في المنطقة، فقد صدرت عدة كتب حوله وتناولته بعض المصادر سأعرضها لاحقاً في سياق البحث، وأهمها كتاب «قصة الدولتين الدرزية والمارونية» لمحمد خالد قطمة، وكتاب «الدروز تحت الاحتلال» لغالب أبو مصلح وكتاب شمعون آفيفي «سدر نحاس».

المرحلة الأولى: إفراغ الجولان من سكانه، الرواية العربية مقابل الرواية الإسرائيلية:

هنالك روايتان تتعلقان بموضوع إفراغ الجولان من سكانه، الرواية الإسرائيلية والرواية العربية. ومهما اختلفت الروايتان، يبقى ما حصل جريمة حرب بكل المقاييس. أكثر من ١٢٨ ألف مواطن سوري أصبحوا لاجئين في ضواحي دمشق، حيث هدمت بيوتهم وقراهم ومدنهم وسويت بالأرض. فيما يلي جدول مأخوذ عن مصدر إسرائيلي يوضح توزع القرى والبلدات والسكان في الجولان بجزأيه، المحتل، والذي بقي تحت السيادة السورية، في نهاية حرب حزيران ١٩٦٧ . [٣]

عدد القرى	عدد السكان	النسبة المئوية من المجموع العام
٥٠ «سورية» (لم تحتل)	٢٢٠٠٠	١٤,٦
٢٢٢ «إسرائيل» (وقعت تحت الاحتلال)	١٠٠٠٠٠	٦٦,٥
١ (مدينة القنيطرة تحت الاحتلال)	٢٨٠٠٠	١٨,٩
المجموع في إسرائيل (تحت الاحتلال) ٢٢٣	١٢٨٠٠٠	٨٥,٤
المجموع الكلي ٢٧٣	**١٥٠٠٠٠**	**١٠٠**

تدعي الرواية الإسرائيلية أنها احتلت الجولان نتيجة للاعتداءات المتكررة للجيش السوري عليها في المناطق المعزولة السلاح وفقاً لإتفاقية الهدنة بين سورية وإسرائيل لعام ١٩٤٩، ومن باب رد العدوان عن نفسها، شنت حرباً على الجيش السوري المعتدي واستطاعت أن تهزمه وتحتل الجولان، وكنتيجة لذلك نزح السكان السوريون من بيوتهم، مع انسحاب الجيش السوري بمبادرة منهم، فقد وجدت القرى والمدن خاوية على عروشها، إلا من بعض الأفراد هنا وهناك.

أما الرواية العربية، فتقول إن الجيش الإسرائيلي اعتدى على الجيش السوري، واحتل الجولان، وطرد السكان من بيوتهم بالقوة، عن طريق الترهيب والتهديد بالقتل، وهدم القرى والمدن السورية بشكل مقصود وممنهج، لإخلاء الجولان من سكانه العرب السوريين.

إذا أخذنا كل رواية وفككناها، سنجد أنها تحتوي على عناصر أساسية متشابهة في الشكل ومتناقضة في المضمون. هدفها،

دفع المسؤولية باتجاه الطرف الآخر. فالرواية الإسرائيلية تقول باختصار :

١. إسرائيل شنت حرباً دفاعاً عن النفس، على أثر اعتداء سورية عليها.

٢. السكان السوريون تركوا بيوتهم باختيارهم، دون ضغط أو إكراه.

أما الرواية العربية فتحتوي على العناصر التالية:

١. إسرائيل شنت حرباً عدوانية على سورية، بهدف التوسع.

٢. احتلت الجولان، وهجرت السكان، وهدمت القرى والمدن بشكل مقصود.

لن ندخل في نقاش مطول في حيثيات بداية حرب حزيران ١٩٦٧، لأنه ليس هدف هذه الدراسة، ولكن سنعرج قليلا على بعض ما جاء على لسان القيادة العسكرية الإسرائيلية بعد الحرب، لنضيئ ولو قليلاً على النقطة الأولى، التي تدعي فيها إسرائيل أنها شنت حرباً دفاعاً عن النفس بعدما هاجمها الجيش السوري .

في مقابلة صحفية عام ١٩٧٦ أجريت مع موشيه ديان، الذي أشغل منصب وزير الدفاع خلال حرب حزيران ١٩٦٧، لكنها لم تنشر إلا في عام ١٩٩٧، أي بعد مرور عشرين عاماً تقريبا، حيث قال « أنا أعرف كيف بدأ على الأقل ثمانون بالمئة من كل الحوادث هناك (المقصود في المناطق معزولة السلاح بين سورية وإسرائيل قبيل الحرب)، كانت تجري على النحو التالي: كنا نرسل تراكتورا ليحرث بمكان معين، والذي ليس من الممكن استصلاحه، داخل المنطقة معزولة السلاح، وكنا نعرف مسبقاً أن السوريين سيطلقون النار عليه. وإذا لم يطلقوا النار، كنا نطلب من سائق التراكتور أن يتقدم أكثر حتى نستفز الجيش السوري أكثر، مما يجعلهم يطلقون النار. وعندها كنا نستعمل ضدهم المدفعية ولاحقاً سلاح الجو(....) أنا قمت بهذا، ولسكوف وتسور قاما أيضاً بهذا الفعل (حاييم ليسكوف وتسفي تسور كانا رؤساء أركان سابقين). وأيضاً اسحق رابين فعل ذلك عندما كان هناك في بداية الستينات. ولكنني أعتقد أن أكثر شخص كان يلتذ على هذه اللعبة كان دادو (دافيد اليعزر قائد المنطقة الشمالية أبان حرب حزيران ١٩٦٧)».[٤]

السؤال الذي يطرح نفسه هنا وبقوة، لماذا لم تنشر هذه المقابلة إلا بعد عشرين عاماً؟ الجواب واضح من خلال المضمون الذي أورده موشيه ديان. فإسرائيل، كما ورد على لسانه، كانت معنية بالحرب، وكانت تحاول جر الجيش السوري لمواجهة عن طريق استفزازه، وهذا يقوض الإدعاء الإسرائيلي بأنها خرجت لحرب دفاعية عام ١٩٦٧. لذلك منع نشر هذه المقابلة حتى لا تحرج وتكذب الرواية الإسرائيلية الرسمية. الباحث الإسرائيلي في الشؤون السورية آيال زيسر، وفي دراسة له نشرت في مجلة عيونيم بتكومات يسرائيل(تأملات في بعث إسرائيل) تحت عنوان «بين إسرائيل وسورية– حرب الأيام السته وما بعدها»، يؤكد هذه الحقيقة، ويعتبر أن ما قاله موشيه ديان في هذه المقابلة يضر بإسرائيل، لأنه يوصلنا إلى ثلاث نتائج، حيث يقول زيسر:

«أولاً، قرار إسرائيل باحتلال الجولان لم يكن نتيجة مباشرة وضرورية، تنبع من تطور وتسلسل حوادث أيار– حزيران ١٩٦٧ (كما تدعي إسرائيل) ،لأنه حسب أقوال ديان ، السوريون لم يشكلوا تهديداً على إسرائيل، عشية الحرب وخلالها. ثانياً، إسرائيل هي التي بادرت لقسم كبير من الحوادث في المنطقة المعزولة وعلى الحدود بين الدولتين(...) وثالثاً، تبرز من حديث موشيه ديان روح عدائية تجاه السوريين سادت بين قيادات الجيش الإسرائيلي».[٥]

إذا أضفنا ما ورد سابقاً، إلى ما قاله موشيه ديان خلال مثوله أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي، بعد الحرب، (والتي تبقى على الأغلب جلساتها سرية وتكشف لاحقا أمام الصحافة والباحثين)، لتبين لنا بوضوح كذب ادعاء إسرائيل بأنها خاضت حرباً دفاعية. إذ جاء على لسان ديان ما يلي: « الجزء الإشكالي في الحرب كانت سورية ، صحيح بأنها قامت بعمل عدائي واحد أو اثنين في محاولة للدخول الى مزارع كيبوتس دان، ولكن لم يكن هذا جدياً (...) ، كان من الممكن أن ننهي الحرب مع سورية، ونبقى في مكاننا على الحدود القديمة. لم ندخل بالحرب مع سورية بسبب مبادراتهم العسكرية ضدنا، وإنما من أجل إنقاذ الكيبوتسات من المدفعية السورية، ولنعلمهم درسا لن ينسوه».[٦] من هنا أصبح واضحا أن إسرائيل كانت تتحين الفرصة للتوسع واحتلال الجولان.

تثبت هذه التصريحات، المثبتة بمصادرها، من أعلى قيادة عسكرية في إسرائيل– وزير الدفاع موشيه ديان، دون أدنى شك، أن إسرائيل خرجت للحرب من أجل احتلال الجولان، وذلك لتنفيذ مهمة استراتيجية غاية في الأهمية، والتي أنكشفت لاحقاً، وهي مشروع التقسيم الطائفي، أي تقسيم سورية ولبنان لدويلات طائفية، هذا إضافة للسيطرة على منابع نهر الأردن. وكانت حجتهم المعلنة، رفع القصف السوري عن المستوطنات الإسرائيلية.

لقد بدأ المستوطنون بالضغط على ليفي اشكول، رئيس الوزراء آنذاك، بتحريض من مهندسي مشروع التقسيم، من أجل الخروج إلى حرب ضد سورية، ليقنعوا العالم أنهم خرجوا لهذه الحرب تحت ضغط المستوطنين، الذين يتعرضون للاعتداءات المتكررة من قبل الجيش السوري. وكان هؤلاء المستوطنون ينتمون إلى حركة مباي، التي يعتبر ليفي اشكول من قياداتها، وهو عضو في كيبوتس دغانيا الحدودي سابقاً. لقد دعم هؤلاء وشجعهم بشكل علني، كل من قائد المنطقة الشمالية دافيد بن اليعزر، ووزير العمل آنذاك ايغال ألون، الذي لعب دوراً مركزيا في مؤامرة التقسيم ،بل يمكن القول إنه مهندسها.

لقد اعترف آلون بدوره هذا حيث قال: « أنا الذي جندت المستوطنين ليضغطوا على اشكول، من أجل احتلال الجولان»[٧] وبقرار احتلال الجولان، اعتبر آلون أن هناك فرصة تاريخية لتغيير حدود إسرائيل التي فرضت عليها في حرب الاستقلال كما يقول، وكذلك السيطرة على منابع نهر الأردن.[٨] والأخطر من ذلك، كما أورد موشيه معوز، المختص بالشؤون السورية في كتابه «إسرائيل– سورية نهاية النزاع» «آلون أراد أن ينفذ مشروعه والذي سماه «حلف الأقليات» ، حيث اعتقد أن احتلال الجولان، يمكن إسرائيل من التواصل مع جبل الدروز في سورية، وكل الذين لا ينتمون للعرب في الشرق الأوسط».[٩] (في الثقافة السياسية الإسرائيلية، العرب هم فقط المسلمون، أما المسيحيون والدروز والعلويون... ليسوا عرباً بل أقليات).

وهكذا، أرادت إسرائيل من احتلالها للجولان أن تسيطر على منابع مياه نهر الأردن من جهة، ومن أجل محاولة تنفيذ مخططها التقسيمي الذي وضع أسسه ايغال آلون، والقاضي بإقامة دويلات طائفية في سورية ولبنان من جهة أخرى، مستغلة الهزيمة العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ . ولهذا لا بد من احتلال الجولان، الذي يشكل جسراً يمتد من جنوب سورية إلى جنوب لبنان، ومن ضمن هذا المخطط، كما سيأتي لاحقاً، إفراغ الجولان من سكانه.

على أساس ما ورد، يمكن القول إن ادعاء إسرائيل الخروج إلى حرب دفاعاً عن النفس، ضد الاعتداءات السورية، هو كذب ومحض افتراء، ويهدف إلى تبرير عدوانها أمام العالم. وينتج عن ذلك بالمقابل، أن الإدعاء السوري كان صحيحاً بأن إسرائيل شنت حرباً عدوانية على سورية، كانت معدة مسبقاً، من أجل التوسع والسيطرة على الأرض ومصادر المياه في بانياس وجبل الشيخ. ونضيف لهذا الادعاء، ما تبين لاحقاً، أن هذا التوسع كان يحمل في طياته مخططاً خطيراً، لو كتب له النجاح، لكان قد غير ملامح الشرق الأوسط.

اشكول (وسط) في الجولان بعد احتلاله.

السؤال التالي هو: كيف تم التعامل مع السكان السوريين في الجولان؟ ومن هو المسؤول عما جرى لهؤلاء، الذين تحولوا بأغلبيتهم إلى لاجئين، ولماذا؟ . وهنا يأتي الشق الثاني من الرواية الإسرائيلية، حيث تدعي أن السكان السوريين تركوا قراهم عندما انسحب الجيش السوري من الجولان. يقول أحد الضباط الإسرائيليين، الذين دخلوا القنيطرة بعد احتلالها في العاشر من حزيران : «دخلت فرقة عسكرية مدرعة بقيادة العقيد ألبرت ماندلر المدينة عند الساعة ٢:٣٠ ظهراً، ووجدوا المدينة مهجورة والمعدات العسكرية متناثرة في كل مكان.»[١٠]

وصرح بعد ذلك قائد إسرائيلي: «وصلنا للقنيطرة من دون أي عائق تقريبًا... كان هناك غنائم في كل مكان حولنا، كل شيء كان لا يزال يعمل. محركات الدبابات لم تتوقف، معدات الاتصال لا تزال في وضع العمل، وقد تم التخلي عنها. سيطرنا على القنيطرة دون قتال.[١١] ويؤكد موشيه ديان هذا الأمر في مذكراته إذ يقول: وفي صبيحة اليوم التالي، السبت ١٠ حزيران (يونيو)، لاحظ رجالنا أن المدافعين السوريين قد تخلوا، في جو من الفوضى، عن مواقعهم ليلاً، تاركين وراءهم المدافع المضادة للدبابات ، والرشاشات الخفيفة والثقيلة. فان الهزيمة التي حلت بهم في اليوم السابق، وغارات طائراتنا المتواصلة، قد حطمت معنوياتهم. فان الحكومة السورية، التي لمست الوضع الميؤوس منه الذي وجدت نفسها فيه، أعلنت في الثامنة والنصف من صبيحة اليوم التالي، سقوط القنيطرة، لتدفع مجلس الأمن الى اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار فوراً. وفي الواقع، لم يكن أي جندي إسرائيليئ قد ظهر ، ساعتئذ، في المدينة. والقوات السورية في الجبهة، ما كادت تسمع النبأ، حتى انطلقت مدبرة، فلم تر حامية المدينة، عندئذ، أي فائدة من المقاومة. ولما وصلت قواتنا، حوالى الظهر الى القنيطرة، والبطمية ومسعدة، وهي أهدافنا الأخيرة في الجولان، وجدتها خالية».[١٢]

طبعا إسرائيل تحاول التنصل مما قامت به إبان الحرب، لتدعي أنها وجدت القرى فارغة، ولكن الحقيقة عكس ذلك، فقد سعت بكل الوسائل، لفرض الأمر الواقع على السكان السوريين في الجولان لإجبارهم على ترك قراهم ومدنهم ، وذلك تنفيذاً لما أضمروه لهذه المنطقة بعد أن تضع الحرب أوزارها. إن إسرائيل كانت تمتلك خطة من ضمنها تهجير السكان السوريين، ولذلك أدخلت الرعب لقلوب المواطنين، عن طريق القصف العشوائي براً وجواً، واستهدفت المدنيين الذين بدأوا بالهرب من وجه الآلة الحربية الإسرائيلية، وهذه ردة فعل انسانية طبيعية لمثل هكذا حدث .

لقد سعت إسرائيل ومنذ قيامها، إلى تفتيت الوطن العربي إلى دويلات طائفية، وهذا أمر طبيعي ومتوقع من عدو يريد أن يشرعن وجوده كدولة يهودية أولاً، ويفتت الجبهة العربية ضده، ويشغلها بصراعات داخلية ثانياً. ولهذا كانت سورية ولبنان دائماً مستهدفتين لأنهما تتشكلان من فسيفساء طائفي متنوع ، ولذلك كانت إسرائيل قد أعدت خطة لإقامة دولة درزية، تمتد من محافظة السويداء في جنوب سورية، وحتى جبل الشوف في لبنان، والذي تسكنه أغلبية درزية، وربطهما مع بعض عبر احتلال الجولان، لإقامة حزام درزي يمتد من جنوب سورية إلى جنوب لبنان. كذلك خططت لاحقاً، لإقامة دولة علوية على الساحل، ودولة للأكراد في الشمال السوري، ودولة سنية في الداخل السوري ، إضافة الى دولة مسيحية في لبنان. وهذا ما رمى إليه ايغال آلون عندم تكلم عن حلف الأقليات في الشرق الأوسط.

لذلك أرادت إسرائيل الجولان خالياً من السكان، وتبنت الإستراتيجية التالية لتنفيذه : ضغطت على سكان الجولان، وبكل الوسائل المتاحة، لتفرض عليهم المغادرة، وبالمقابل خففت الضغط على القرى التي تنتمي إلى الطائفة الدرزية في شمال الجولان، لعلهم يشكلون رأس الحربة في هذا المشروع، وذلك لعلم الإسرائيليين أن هؤلاء السكان لاقوا الأمرين من النظام السوري قبل الاحتلال من جهة، وقدروا أن الأرضية خصبة لمثل هذه المشاريع خصوصاً بعد الهزيمة من جهة أخرى. ولأن الواقع العربي واقع طائفي متخلف، فإن بقاء القرى الدرزية سيضعها في موضع الإتهام بالتعامل مع إسرائيل، ولعل هذه الاتهامات ستدفعهم باتجاه التعاون معها ،أي مع إسرائيل، وبحال رفضوا فسيتم تهديدهم بالطرد.

إذاً، من الواضح أن إسرائيل دأبت وسعت إلى طرد السكان السوريين من أرضهم، تمهيداً لتطبيق مخططاتها. ولكن ولكي نكون منصفين وموضوعيين، يجب أن نتطرق أيضاً إلى المسؤولية التي يتحملها النظام السوري عما جرى لهؤلاء السكان. إن الرواية العربية حول ما حصل للسكان السوريين في الجولان إبان الاحتلال، التي أوردناها سابقا ، تحمل الإسرائيليين وجيشهم كل المسؤولية، دون التطرق لأي مسؤولية يتحملها النظام السياسي والعسكري السوري. فقد نسبت كل المصائب التي حلت بالسوريين لإسرائيل وجيشها . إن هذا التحليل يذكرنا بما اورده الدكتور صادق جلال العظم، عندما حلل دور الشخصية الاجتماعية العربية في الهزيمة، حيث يرجع العظم هذه السلسلة من الأخطاء في التقييم إلى أنماط السلوك الإجتماعي، الذي درسه عالم الاجتماع المصري حامد عمار، وأطلق عليه اسم «الشخصية الفهلوية»، وقد تناولها الدكتور صادق جلال العظم في كتابه «النقد الذاتي بعد الهزيمة»، الذي صدر بعد هزيمة حزيران من عام ١٩٦٧ ، حيث قال: إن الإنسان العربي ينسب دائماً ما يحل به من مصائب ،إلى قوى خارجية كقوى الطبيعة أو إلى العدو، لكي يدفع بالمسؤولية عن نفسه .[١٣] ولكي نكون علميين في طرحنا، يجب أن نورد الشق الثاني والذي تجاهله الجانب العربي، وهو المسؤولية التي يتحملها النظام السوري آنذاك عن الكارثة التي حلت بالسوريين، لنتساءل : هل كان بالإمكان إفشال هذا المخطط ووأده في مهده؟ هل كان من الممكن للسكان السوريين أن يبقوا في قراهم ومدنهم؟ أم أن مصيرهم كان محتوماً ولا نقاش في ذلك؟.

أعتقد أن الجواب على هذه الأسئلة المطروحة قد يكون مفاجئاً للبعض. فأنا أعتقد أنه، ورغم كل ما ذكر سابقا عن ممارسات جيش الاحتلال الإسرائيلي تجاه السكان السوريين في الجولان إبان الاحتلال، كان من الممكن إفشال هذا المخطط، وكان أيضا من الممكن بقاء قسم كبير من السكان في قراهم ومدنهم بشكل أو بآخر، لو توفرت الإرادة والدعم اللازمين، ودليلي على ذلك ما يلي: بالنسبة لإسرائيل تعتبر القدس الشرقية أهم منطقة استولت عليها إبان الحرب، فهي مقدسة عندهم، ويعتبرون المسجد الأقصى مبنياً على انقاض الهيكل اليهودي، وحلمت إسرائيل دائماً، ومنذ قيامها، بجعل القدس الموحدة عاصمة لها. من هنا ممكن الإدعاء، أن تصميم إسرائيل على طرد السكان العرب من القدس ، يفوق تصميمها على طرد سكان الجولان، لما تمثله القدس من قيمة دينية وسياسية وتاريخية لها لا تقارن بأي منطقة أخرى احتلتها أبان الحرب. فقد ضمت إسرائيل القدس إليها فوراً بعد احتلالها ، بينما الجولان لم يضم إلا بعد ١٤ عاماً من احتلاله. لكن تجربة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، جعلته يصمد ويرفض الخروج مهما كلفه ذلك من تضحيات، وهكذا لم تستطع إسرائيل ترحيلهم، فهنالك اليوم، أكثر من ٣٥٠ ألف عربي في القدس يشكلون شوكة في عين إسرائيل، وهذا ما جرى أيضاً في الضفة الغربية عموماً.[١٤]

يتحمل الجانب السوري مسؤولية كبرى عن الكارثة التي حصلت للسوريين في الجولان. فقد أدخل أولاً الرعب إلى قلوب السوريين من العدو الإسرائيلي، عبر ثقافة وهمية كان يبثها بين السوريين ،حيث كان يخترع من خلالها الأساطير عن اليهود، ظناً منه أنه ينال منهم، أي من اليهود، وكانت النتيجة أنه أدخل الرعب إلى نفس المواطن السوري البسيط ،وجعله يتصرف بخوف وذعر . وثانياً كان لإعلان سقوط القنيطرة قبل وصول الجيش الإسرائيلي إليها، الأثر الكبير على معنويات السوريين في الجولان ، فقد أعلن سقوط القنيطرة عبر راديو دمشق في الساعة ٨:٤٦، وحمل هذا البلاغ رقم ٦٦ الصادر عن وزير الدفاع السوري آنذاك حافظ الأسد، في حين لم يدخلها الجيش الإسرائيلي إلا بعد أكثر من خمس ساعات من موعد صدور البيان.

يتحمل الجانب السوري مسؤولية كبرى عن الكارثة التي حصلت للسوريين في الجولان. فقد أدخل أولاً الرعب إلى قلوب السوريين من العدو الإسرائيلي، عبر ثقافة وهمية كان يبثها بين السوريين ،حيث كان يخترع من خلالها الأساطير عن اليهود، ظناً منه أنه ينال منهم، أي من اليهود، وكانت النتيجة أنه أدخل الرعب إلى نفس المواطن السوري البسيط ،وجعله يتصرف بخوف وذعر . وثانياً كان لإعلان سقوط القنيطرة قبل وصول الجيش الإسرائيلي إليها، الأثر الكبير على معنويات السوريين في الجولان ، فقد أعلن سقوط القنيطرة عبر راديو دمشق في الساعة ٨:٤٦، وحمل هذا البلاغ رقم ٦٦ الصادر عن وزير الدفاع السوري آنذاك حافظ الأسد، في حين لم يدخلها الجيش الإسرائيلي إلا بعد أكثر من خمس ساعات من موعد صدور البيان. يقول قائد الفرقة الثامنة إبراهيم إسماعيل كهيا: تلقينا أوامر بسد الطرق المؤدية إلى القنيطرة. لكن جاء خبر سقوط المدينة، مما جعل الكثير من جنودي يغادرون الجبهة، والركض عائدين إلى سورية، بينما الطرق مفتوحة. لقد تراكموا على المركبات. مما ثبط من معنوياتنا. انسحبت قبل أن أرى جنديا عدوا.[١٥] وثالثاً، الانسحاب الكيفي والمخزي من الجولان ، والفوضى التي أحدثها، دون وجود أي توجيهات للمدنيين من القيادة السورية ، ما أدى إلى إحداث بلبلة كبيرة، ساهمت في إجبار قسم من السكان على ترك منازلهم قبل وصول الجيش الإسرائيلي إليها. وأوضح ما يدل على هذه الفوضى، هروب آمر الجبهة في الجولان العقيد أحمد المير إلى دمشق، بعد أن خلع زيه العسكري، وهو يركب حماراً.[١٦]

من هنا نستطيع القول، إن الجانب السوري يتحمل مسؤولية كبرى عما حدث في الجولان. فطبيعي أن تسعى إسرائيل لتهجير السكان السوريين من الجولان ليتسنى لها تنفيذ مخططاتها، ولكن، ليس من الطبيعي أداء النظام السوري آنذاك، فقد سهل المهمة على إسرائيل بشكل كبير، وجعلها تدعي أن ليس لها يد فيما حصل. فلو امتلك السوريون إرادة البقاء حتى لو كانت مكلفة ، كما كانت عند الفلسطنيين في القدس والضفة الغربية، ولو ساهم النظام السياسي السوري بتشجيعهم على البقاء ،أو حتى محاولة إعادتهم بعد خروجهم في الأيام الأولى بعد الاحتلال حتى لو كان ذلك صعباً، لأن إسرائيل طبعاً لن ترضخ بسهولة ، لكانت الأمور مختلفة تماماً اليوم. فلنا عبرة فيما حدث في الخامس من حزيران ٢٠١١ ، عندما استطاع شباب فلسطينيون وسوريون الوصول إلى قلب مجدل شمس، غير آبهين بحقول الألغام الموجودة على جانبي خط وقف إطلاق النار.[١٧]

أما بالنسبة لسكان القرى في شمال الجولان، التي تنتمي للطائفة الدرزية فكان بقاؤها نتيجة لما يلي:

١. المخطط الإسرائيلي لقيام دولة درزية والذي خفف ضغط إسرائيل عليهم، الأمر الذي مكنهم من البقاء في بيوتهم.
٢. تجربة سكان هذه القرى إبان الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ، عندما أقدمت فرنسا على حرق قرية مجدل شمس وتهجير سكانها، حيث تحولوا إلى لاجئين حتى نهاية الثورة وذاقوا الأمرين. هذه التجربة ما زالت حاضرة في ذاكرتهم تتناقلها الأجيال، لذلك امتلكوا إرادة البقاء، خصوصاً أن أعيانهم وقفوا بوجه كل من حاول ترك بيته، مذكرين الناس بأحداث عام ١٩٢٥ .[١٨]

بسبب التخلف والتعصب الطائفي المقيت وقع المحضور، فبدلاً من دعم السوريين الذين بقوا في قراهم، ومحاولة إعادة النازحين، والطلب من الأمم المتحدة المساعدة في هذا الأمر، اتهم من بقوا في أرضهم بالتعامل مع إسرائيل، كما توقع الإسرائيليون، دون أن يفهموا ما كانت ترمي إليه الدولة الصهيونية وما بيتت لهؤلاء السكان، واستخدمها النظام كذريعة لامتصاص النقمة الشعبية على الهزيمة لذلك ألصقها بالدروز الذين بقوا في قراهم!!! وهذا يذكرنا مرة أخرى بالشخصية الفهلوية. لقد أصاب قادة إسرائيل أصحاب مشروع التقسيم، عندما توقعوا أن السكان الذين بقوا في بيوتهم سيتهمون بالتعاون معها، ولكنهم أخطأوا التقدير في الشق الثاني، بأن هذا الاتهام سيدفع بهؤلاء إلى أحضانهم، فقد حصل العكس تماما.

٣. مما لا شك فيه أن علاقة دروز الجليل والكرمل بدولة إسرائيل، ساهمت أيضاً ببقاء هذه القرى وبعدم ترحيل سكانها، فقد وصلت وفود من دروز الجليل والكرمل، بإيحاء من إسرائيل، لتطمين أهالي هذه القرى، بأن إسرائيل لا تنوي أن تمسهم بسوء إذا رفعوا الأعلام البيضاء وتعاملوا بعقلانية مع الواقع الجديد.

٤. لقد كانت أحداث الحرب الرئيسية بعيدة عن هذه القرى، ولذلك لم تتضرر بشكل مباشر من الأعمال الحربية.

٥. طبيعة هذه القرى الزراعية، حيث اعتمد غالبية سكانها على زراعة الأشجار المثمرة وخصوصاً التفاح، فشكل هذا رابطاً قوياً جعلهم يتمسكون بأملاكهم ولا يغادرون قراهم.

على أساس ما ورد، نستطيع الإدعاء، أن بقاء السكان السوريين في الجولان كان ممكناً لو توفرت الإرادة والإصرار على البقاء، ولو كان هناك نظام سياسي داعم يمتلك رؤية استراتيجية لآفاق صراعه مع إسرائيل. فوجود السكان على أرضهم هو الضمانة في أي صراع للمحافظة على هوية الأرض. وبالمقابل استفادت إسرائيل من هذا الفراغ والبلبلة ، وقامت بهدم القرى خوفاً من صحوة سورية لإعادة السكان العرب اليها، لأن خط وقف إطلاق النار بقي مفتوحاً لأشهر بين سورية وإسرائيل، وكان من الممكن الانتقال بسهولة ويسر عبره، الأمر الذي كان سيحرجها أيما إحراج.

بسبب التخلف والتعصب الطائفي المقيت وقع المحضور، فبدلاً من دعم السوريين الذين بقوا في قراهم، ومحاولة إعادة النازحين، والطلب من الأمم المتحدة المساعدة في هذا الأمر، اتهم من بقوا في أرضهم بالتعامل مع إسرائيل، كما توقع الإسرائيليون، دون أن يفهموا ما كانت ترمي إليه الدولة الصهيونية وما بيتت لهؤلاء السكان، واستخدمها النظام كذريعة لامتصاص النقمة الشعبية على الهزيمة لذلك ألصقها بالدروز الذين بقوا في قراهم!!! وهذا يذكرنا مرة أخرى بالشخصية الفهلوية . لقد أصاب قادة إسرائيل أصحاب مشروع التقسيم، عندما توقعوا أن السكان الذين بقوا في بيوتهم سيتهمون بالتعاون معها، ولكنهم أخطأوا التقدير في الشق الثاني، بأن هذا الاتهام سيدفع بهؤلاء إلى أحضانهم، فقد حصل العكس تماماً، لقد أثبت السكان الذين بقوا في بيوتهم والمتهمون بالخيانة، أنهم الضمانة الوحيدة التي ثبتت عروبة الجولان وجعلت العالم يسمع أن هناك أرضاً سورية محتلة.

إذا، يجب تصحيح الرواية العربية كما يلي: بسبب طبيعة إسرائيل التوسعية، عملت إسرائيل بقوة على ترحيل السكان السوريين من الجولان، من أجل تنفيذ مخططاتها التقسيمية للمنطقة، وساهم النظام السياسي السوري آنذاك، بقصد أو بغير قصد، بتنفيذ هذه المؤامرة ،والنتيجة كانت، أكثر من ١٢٨ ألف مواطن سوري موزعين على ٢٢٣ قرية ومزرعة ومدينة هجروا من بيوتهم وهدمت قراهم وسويت بالأرض. فلقد كان السكان السوريون ممن بقوا في بيوتهم، وممن أجبروا على الرحيل، ضحية الاحتلال ومخططاته من جهة، وضحية النظام السياسي السوري من جهة أخرى.

المرحلة الثانية: ١٩٦٧-١٩٧٣.

تميزت هذه الفترة بحدثين مهمين، أولاً إفشال المخطط الإسرائيلي في إنشاء دويلات طائفية وتقسيم سورية ولبنان. وثانياً بداية تشكل نواة الحركة الوطنية السورية في الجولان في مواجهة الاحتلال.

المخطط الإسرائيلي لتقسيم المنطقة:

لقد ورد مخطط إنشاء الدولة الدرزية في أكثر من مصدر، ولكنني اعتمدت في التفاصيل التي سأوردها عن هذا المخطط، على كتاب محمد خالد قطمة، قصة الدولتين المارونية والدرزية، الصادر في بيروت في عام ١٩٨٥ بطبعته الثانية. أيضا كتاب غالب أبو مصلح، الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي، الصادر عام ١٩٧٥. أما بالنسبة للمصادر الإسرائيلية فهي تتجاهل كل مخطط يفشل وتتنصل منه، ولكن هناك ذكر لهذا الموضوع عند بعض المختصين الإسرائيليين بالشؤون السورية واللبنانية، مثل موشيه معوز وآيال زيسر،وشمعون افيفي في كتابه طاس نحوشت (سدر النحاس) الصادر عام ٢٠٠٧، والذي تطرق فيه للمراسلات بين آيغال آلون وليفي أشكول، رئيس الوزراء إبان حرب حزيران ١٩٦٧ ، حول مشروع قيام كيان خاص بالدروز، على خلفية احتلال الجولان. وكان قد ساهم كاتب هذه الدراسة بورقة بحثية تطرقت فيها لهذا الموضوع في معهد ترومان لأبحاث السلام التابع للجامعة العبرية ، ونشرت في كتاب أعده موشيه معوز تحت عنوان، الجولان بين الحرب والسلام. الصادر عام ١٩٩٩ وترجم لاحقاً للعربية.

لقد تردد ايغال آلون، صاحب المخطط في أواخر عام ١٩٦٧ ، مدفوعاً من أجهزة الأمن الإسرائيلية، إلى الجولان، ليجري لقاءات مع قيادات المنطقة، وكان كلامهم (أي الإسرائيليون) واضحاً وحاسماً،إما القبول بالمخطط وإما الترحيل. فاختارت قيادة الجولان التظاهر بالقبول لكي تمنع الترحيل. ولكنهم أصروا ضمناً على إفشال هذا المخطط. اختير عضو البرلمان السوري السابق كمال كنج أبو صالح لخبرته السياسية للقيام بهذه المهمة الصعبة، حيث أخذ على عاتقه إفشال هذا المخطط دون تعريض السكان للترحيل، مستغلاً عامل الزمن. وبالفعل استدعي إلى تل أبيب لوضعه ببعض تفاصيل المخطط وتظاهر بقبوله. فانتقلوا للمرحلة الثانية، وهي التنسيق مع قيادات الدروز في سورية ولبنان لاقناعهم بالمشروع. اقترح كمال كنج على الإسرائيليين اسم كمال أبو لطيف لثقته الكاملة بوطنيته، فوافق الأمن الإسرائيلي على أن يكون كمال أبو لطيف صلة وصل بين كمال كنج وقيادات الدروز في سورية ولبنان . ثم سافر كمال كنج إلى إيطاليا برفقة أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية ويدعى « يعقوب» (وهو اسم مستعار لعقيد في الأمن الإسرائيلي)، ومن هناك استطاع أن يستدعي كمال أبو لطيف، وهو لبناني الجنسية وضابط سابق في الجيش السوري، فاستقبله منفرداً بعد أن أقنع يعقوب أنه سيمهد له الطريق لقبول المخطط . أخبر كمال كنج كمال أبولطيف بالتفاصيل، التي كان قد عرفها من يعقوب، واتفقا سوياً على إفشال هذا المخطط الخطير، ووضع الجانب العربي بتفاصيله، ولكنهما تظاهرا أمام يعقوب بقبوله لاستكمال باقي التفاصيل حول هذه المؤامرة. وبالفعل عاد كمال أبو لطيف، بعد أن استطاعا هو وكمال كنج أخذ تفاصيل مهمة عن المخطط، إلى لبنان، وأطلع كمال جنبلاط وشوكت شقير(رئيس أركان الجيش السوري سابقاَ) بالتفاصيل ، وبدوره قام كمال جنبلاط بإخبار الرئيس جمال عبد الناصر. وسافر كمال أبو لطيف إلى دمشق ليخبر عبد الكريم الجندي، رئيس شعبة المخابرات آنذاك، وعرض عليه التفاصيل التي أطلعه عليها كمال كنج والتي سمعها أيضا من يعقوب. وكان كمال كنج وكمال أبو لطيف قد اتفقا على شيفرة للمراسلة بينهما، غير الشيفرة التي كانا قد اتفقا عليها مع يعقوب، مما أتاح لهما التواصل ونقل باقي تفاصيل المخطط والتي كانت كما يلي :

تشن إسرائيل هجوماً على جنوب سورية وجنوب لبنان لتصل إلى جبال الشوف في لبنان وجبل الدروز في سورية بحجة التواجد الفلسطيني ، ثم يعلن عن قيام دولة درزية تعترف بها إسرائيل وأميركا. وقد رصد لهذه الغاية مبلغ أولي وقدره ٣٠ مليون دولار. تقوم إسرائيل لاحقاً بنقل دروز الجليل والكرمل إلى الجولان الذي أخلي من سكانه. وهكذا تتخلص إسرائيل من الدروز داخل حدود الـ٤٨ وتسيطر على قراهم، وبالمقابل يتشكل حزام درزي مدعوم من إسرائيل يشكل حاجزاً بينها وبين الجانب العربي. ولاحقاً يتم العمل على إقامة دولة علوية في الساحل، ودولة مسيحية في لبنان، ودولة سنية في الداخل السوري، إضافة إلى دولة كردية في الشمال، وهكذا تتحول سورية ولبنان إلى دويلات طائفية تتصارع فيما بينها، مما يضعف بشكل كبير التهديد العربي لإسرائيل من الجبهة الشمالية، ويعطي شرعية لقيام الدولة اليهودية.[١٩]

"كان اهتمام عبد الناصر لا يقل عن اهتمام السلطات السورية بالأمر، فأبلغ السلطات العراقية والأردنية بالمعلومات التي توفرت لديه، وأخذت وسائل الإعلام العربية تتحدث عن اجتماعات مهمة تعقد لتشكيل الجبهة الشرقية ... ثم أعلن عن قيام الجبهة الشرقية من الدول العربية الثلاث: سورية، العراق

ومن الملفت أن أجهزة الأمن السورية لم تسع إلى إقامة حركة وطنية في الجولان، وإنما أرادت من هؤلاء الشباب أن يتقربوا من أجهزة الأمن الإسرائيلية للحصول على معلومات، وتناست هذه الأجهزة أن الجولان بحاجة إلى حراك سياسي علني يعلن رفضه للاحتلال. هذا الأمر يعتبر، من وجهة نظري، خطأً استراتيجياً في التعامل مع السكان المحليين. فعدم وجود سياسة معلنة ترفض الاحتلال، وتحرم التعامل معه، شجع مجموعة من سكان الجولان على التقرب من إسرائيل ومن أجهزتها، فاختلطت الأمور على المواطن العادي، فلا يمكنه معرفة من يتقرب لجمع المعلومات، ومن يتقرب لخدمة الاحتلال.

والأردن، وأنيطت قيادتها لضابط مصري كبير، وعززت المواجهة في مواقع المحاور التي وردت على لسان يعقوب بقوات عسكرية من دول الجبهة .هنا ثارت إسرائيل وأدركت انفضاح مخططها، فتم استدعاء كمال كنج للتحقيق فأنكر .."[٢٠] فبدأت بمراقبته، حيث أستدعي إلى سورية أكثر من مرة، لوضعهم بباقي التفاصيل الملحة، والاتفاق على خطة عمل لمواجهة هذا المخطط. وفي آخر زيارة كان ينوي أن يقوم بها كمال كنج أبو صالح إلى دمشق، برفقة أحد رجال الكومندوس السوري، الذي وصل إلى بيته سراً لمرافقته، تم تطويق مجدل شمس ثم بيته وألقي القبض عليه وعلى رجل الكومندوس في ٨ تشرين الأول ١٩٧٠، وحوكم أمام محكمة عسكرية في القنيطرة، وحكم عليه بالسجن لمدة ٢٠٨ سنوات.[٢١] أما كمال أبو لطيف فقد تم اغتياله لاحقاً في بلدته عيحا من قبل الإسرائيليين.

بداية تشكل نواة الحركة الوطنية في الجولان السوري المحتل:

بعدالاحتلال، أجرى الكثيرون من الشباب اتصالات بأجهزة الأمن السورية، بمبادرة شخصية منهم ، وعرضوا عليهم أن يتنظموا لمصلحة العمل الوطني، خصوصاً أن قسماً لا يستهان به من هؤلاء الشباب، كان متأثراً بالحركة الناصرية والبعثية، وكان هناك أيضاً نواة للحزب القومي السوري الاجتماعي، حيث شكل الفكر القومي العربي، الذي حمل شعلته الرئيس الراحل جمال عبد الناصرمن جهة، وألم الهزيمة الذي جرح كبرياء هؤلاء الشباب بالصميم من جهة أخرى، دافعاً لهم على العطاء، والانخراط في العمل الوطني.

وهكذا تنظم أكثر من ٧٠ شاباً من مختلف القرى في الجولان في أربع شبكات سرية مختلفة، تعمل مع الأمن السوري. استطاع هؤلاء الشباب تقديم معلومات قيمة جداً ، قبل حرب تشرين ١٩٧٣

دبابة سورية متروكة في الجولان المحتل.

حول مرصد جبل الشيخ وخط بارليف، حيث عمل قسم منهم كعمال في هذه المواقع، واستطاعوا الحصول على مخططاتها وقدموها للأمن السوري، وبدوره قدم الأخير مخططات خط بارليف للمصريين. استطاع الأمن الإسرائيلي اكتشاف أمر هذه الشبكات في السبعينات حيث اعتقل عددا كبيرا من شباب قرى مجدل شمس وبقعاثا ومسعدة وعين قنية، وكذلك استشهد في تلك الفترة شابان بالرصاص الإسرائيلي .[٢٢]

لا شك، أن هذا الحراك الوطني (إفشال مخطط التقسيم والشبكات السرية) ترك أثره على السكان السوريين تحت الاحتلال، وبدأت تتشكل نواة الحركة الوطنية في الجولان، التي رفضت الاحتلال وسياسته، والتي تمثلت بسلوك الحاكم العسكري، حيث يمنحه منصبه حق التصرف كيفما يشاء وفقاً لمصلحة إسرائيل دون مراعاة القانون المدني الإسرائيلي أو القانون الدولي. وقد كان أول عمل قض مضجع الاحتلال، هو خروج مظاهرة عارمة في الجولان بعد إعلان وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠، وحصلت في هذه المظاهرة مواجهات بين الشباب والجيش.[٢٣]

بدأت إسرائيل في أواخر السبعينات محاولة تمرير مشروع ضم الجولان عن طريق السكان، لتدعي لاحقا أنها استجابت لرغبتهم بالانضمام إليها. وبالفعل حاول الحاكم العسكري الجديد تمرير هذا المخطط والترويج للجنسية الإسرائيلية بين قطاع الموظفين، ولكن سرعان ما تسربت هذه المحاولات للمجتمع، فأدركت قيادته أبعاد هذا المخطط فتداعى السكان للاجتماع، وكان ردهم واضحاً وحاسما برفضه، حيث قويت شوكة الحركة الوطنية في هذه المرحلة، واستطاعت أن تكسب لجانبها تأييد قادة مؤثرين بين رجال الدين ، الذين دأبوا على الابتعاد عن العمل في المجال السياسي، وصدرت الوثيقة الوطنية لسكان الجولان السوري المحتل في ٢٥ آذار عام ١٩٨١.

ومن الملفت أن أجهزة الأمن السورية لم تسع إلى إقامة حركة وطنية في الجولان، وإنما أرادت من هؤلاء الشباب أن يتقربوا من أجهزة الأمن الإسرائيلية للحصول على معلومات، وتناست هذه الأجهزة أن الجولان بحاجة إلى حراك سياسي علني يعلن رفضه للاحتلال. هذا الأمر يعتبر، من وجهة نظري، خطأً استراتيجياً في التعامل مع السكان المحليين، فعدم وجود سياسة معلنة ترفض الاحتلال، وتحرم التعامل معه، شجع مجموعة من سكان الجولان على التقرب من إسرائيل ومن أجهزتها، فاختلطت الأمورعلى المواطن العادي، فلا يمكنه معرفة من يتقرب لجمع المعلومات، ومن يتقرب لخدمة الاحتلال. الأمر الذي ساهم، إضافة لعوامل أخرى، إلى تشكل مجموعات تعاملت مع هذا الاحتلال وقدمت له الخدمات ظناً منها أن إسرائيل دولة قوية جداً لا يمكن هزيمتها، ولا يمكن للجانب السوري أن يستعيد الجولان مجدداً. وهكذا انقسم المجتمع في هذه السنوات بين مؤيدين للاحتلال ومعارضين له، حيث حاول المؤيدون، وبدعم منه، تذكير السكان بطريقة تعامل الأجهزة الأمنية السورية معهم قبل الاحتلال، والإهانات والتهم التي كانت توجه لهم من قبل هذه الأجهزة، وذلك من أجل تبرير نهجهم المتعامل مع إسرائيل، مع أنه كان "كلام حق يراد به باطل".

المرحلة الثالثة من أواخر ١٩٧٣ وحتى قرار الضم في ١٩٨١/١٢/١٤:

تمثلت هذه الفترة بأحداث جسام أثرت بشكل كبير على مجريات الأمور في المنطقة. فقد كان لحرب تشرين عام ١٩٧٣ تأثير كبير على سكان الجولان المحتل. فمهما اختلفت التحليلات حول طبيعة هذه الحرب سواءَ أكانت تحريرية أم تحريكية، فقد حملت في طياتها تغييراً كبيراً مقارنة بحرب حزيران عام ١٩٦٧ .

فقد أظهرت، أولاً أن الجيش السوري قادر على المواجهة إذا توفرت الشروط الموضوعية والذاتية لذلك، حتى ولو لم ينجح في تحرير الجولان، وثانياً جاءت اتفاقية فصل القوات على الجبهتين السورية والمصرية لتدق ناقوس الخطر عند المؤيدين للاحتلال، حيث أدركوا أن تحرير الجولان أمر ممكن. وهكذا بدأت تضعف المجموعات المؤيدة للاحتلال وتقوى شوكة الحركة الوطنية. وكرد فعل إسرائيلي، وبخطوة هدفها فرض الأمر الواقع على الجولان وتعزيز سلطة الاحتلال عليه، قامت بتأسيس المجالس المحلية في قرى الجولان في أواخر عام ١٩٧٤ ، وعينت لاحقا قضاة مذهب من السكان، وكل ذلك كان بهدف شرعنة الاحتلال واعطائه صبغة مدنية.

جاءت اتفاقية كامب دافيد في عام ١٩٧٩ ، وإعادة سيناء لاحقاً للسيادة المصرية[٢٤] لتدق المسمار الأخير في نعش المجموعات المتعاملة مع إسرائيل، فقد أصبح واضحاً وجليا أن الاحتلال زائل، وإسرائيل ستضطر سلماً أو حرباً أن تعيد الجولان لأصحابه. وهكذا تضعضت هذه المجموعات أكثر، وبدأت بتغيير نهجها. وقد ساهمل في هذا التغيير السياسة القمعية الإسرائيلية التي انتهجها الحكم العسكري آنذاك، خصوصاً بعد وصول الليكود إلى الحكم عام ١٩٧٧ ، وتعيين حاكم عسكري جديد للجولان، يدعى موشيه عطار، الذي استخدم سياسة القمع والترهيب ضد السكان.

استغلت إسرائيل تفوقها الإستراتيجي بعد توقيع إتفاقية كامب دافيد وإخراج مصر خارج معادلة الصراع، من أجل فرض الأمر الواقع على باقي الجبهات. ولذلك بدأت بالتفكير الجدي في ابتلاع الجولان نهائياً وضمه إليها للضغط على سورية، وكذلك بدأت بالتحضير لاجتثاث الثورة الفلسطينية من لبنان، وكسر شوكة العراق الذي حاول أن يشكل بديلاً عن الدور المصري في إطار ما عرف حينه بجبهة الصمود والتصدي، ولذلك قامت بضرب

المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١. [٢٥] يقول الدكتور عبد الستار القاسم في كتابه "مرتفعات الجولان" مؤكداً ما ورد سابقاً : "جاءت مبادرة أنور السادات لتشجع الصهاينة على بدء التحرك لضم الجولان بشكل نهائي، حيث بدأت تتعامل مع الجولان بطريقة تؤدي إلى ضمه بصورة شرعية".[٢٦]

بدأت إسرائيل في أواخر السبعينات محاولة تمرير مشروع ضم الجولان عن طريق السكان، لتدعي لاحقا أنها استجابت لرغبتهم بالانضمام إليها. وبالفعل حاول الحاكم العسكري الجديد تمرير هذا المخطط والترويج للجنسية الإسرائيلية بين قطاع الموظفين، ولكن سرعان ما تسربت هذه المحاولات للمجتمع، فأدركت قيادته أبعاد هذا المخطط فتداعى السكان للاجتماع، وكان ردهم واضحاً وحاسما برفضه، حيث قويت شوكة الحركة الوطنية في هذه المرحلة، واستطاعت أن تكسب لجانبها تأييد قادة مؤثرين بين رجال الدين ،الذين دأبوا على الابتعاد عن العمل في المجال السياسي، وصدرت الوثيقة الوطنية لسكان الجولان السوري المحتل في ٢٥ آذار عام ١٩٨١. [٢٧] كرد صريح وواضح وحاسم ،على السياسة الإسرائيلية ، حيث أعلن سكان الجولان ما يلي:

"نحن المواطنين السوريين في المرتفعات السورية المحتلة، نرى لزاماً علينا أن نعلن لكل الجهات الرسمية والشعبية في العالم أجمع، ولمنظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها، وللرأي العام العالمي وكذلك الإسرائيلي، ومن أجل الحقيقة والتاريخ، بصراحة ووضوح تامين، عن حقيقة موقفنا من الاحتلال الإسرائيلي ودأبه المستمر على ابتلاع شخصيتنا الوطنية، ومحاولته ضم الهضبة السورية المحتلة حينا، وتطبيق القانون علينا حيناً آخر، وجرّنا بطرق مختلفة للاندماج بالكيان الإسرائيلي والانصهار في بوتقته، ولتجريدنا من جنسيتنا العربية السورية التي نعتز ونتشرف بالانتساب إليها ولا نريد عنها بديلاً، والتي ورثناها عن أجدادنا الكرام الذين تحدّرنا من أصلابهم وأخذنا عنهم لغتنا العربية التي نتكلمها بكل فخر واعتزاز وليس لنا لغة قومية سواها. وأخذنا عنهم أراضينا العزيزة على قلوبنا وورثناها أباً عن جد منذ وجد الإنسان العربي في هذه البلاد قبل آلاف السنين– أراضينا المجبولة بعرقنا وبدماء أهلنا وأسلافنا. حيث لم يقصّروا يوماً في الذود عنها وتحريرها من كل الغزاة والغاصبين على مر التاريخ. والتي نقطع العهد على أنفسنا أن نبقى ما حيينا أوفياء ومخلصين لما خلفوه لنا منها وأن لا نفرّط منها بشيء مهما طال زمن الاحتلال الإسرائيلي، ومهما قويت الضغوط علينا من السلطة المحتلة لإكراهنا أو إغرائنا لسلب جنسيتنا ولو كلفنا ذلك أغلى التضحيات."

وهذا موقف من البديهي والطبيعي جداً أن نقفه. وهو موقف كل شعب يتعرض كله أو جزء منه للاحتلال. وانطلاقاً من شعورنا بالمسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقنا تجاه أنفسنا وأبنائنا وأجيالنا القادمة أصدرنا هذه الوثيقة:

١. هضبة الجولان المحتلة هي جزء لا يتجزأ من سورية العربية.
٢. الجنسية العربية السورية صفة حقيقية ملازمة لنا لا تزول. وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.
٣. أراضينا هي ملكية مقدسة لأبناء مجتمعنا السوريين المحتلين. وكل مواطن تسوّل له نفسه أن يبيع أو يتنازل أو يتخلّى عن شبر منها للمحتلين الإسرائيليين يقترف جريمة كبرى بحق مجتمعنا، وخيانة وطنية لا تغتفر.
٤. لا نعترف بأي قرار تصدره إسرائيل من أجل ضمّنا للكيان الإسرائيلي ونرفض رفضاً قاطعاً قرارات الحكومة الإسرائيلية الهادفة إلى سلبنا شخصيتنا العربية السورية.
٥. لا نعترف بشرعية المجالس المحلية والمذهبية، لكونها عُيّنت من قبل الحكم العسكري الإسرائيلي وتتلقى تعليماتها منه، ورؤساء وأعضاء هذه المجالس لا يمثلوننا بأي حال من الأحوال.
٦. إن الأشخاص الرافضين للاحتلال من خلال مواقفهم الملموسة، والذين هم من كافة قطاعاتنا الاجتماعية، هم الجديرون والمؤهلون للإفصاح عما يختلج في ضمائر ونفوس أبناء مجتمعهم.
٧. كل مواطن من هضبة الجولان السورية المحتلة تسول له نفسه استبدال جنسيته بالجنسية الإسرائيلية، يسيء إلى كرامتنا العامة وإلى شرفنا الوطني وإلى انتمائنا القومي وديننا وتقاليدنا، ويعتبر خائناً لبلادنا.
٨. قررنا قراراً لا رجعة فيه وهو: كل من يتجنس بالجنسية الإسرائيلية، أو يخرج عن مضمون هذه الوثيقة، يكون منبوذاً ومطروداً من ديننا ومن نسيجنا الاجتماعي ويحرَّم التعامل معه، أو مشاركته أفراحه وأتراحه أو التزاوج معه– إلى أن يقرّ بذنبه ويرجع عن خطئه، ويطلب السماح من مجتمعه، ويستعيد اعتباره وجنسيته الحقيقية.

لقد اعتمدنا هذه الوثيقة، مستمدين العزم من تراثنا الروحي والقومي والإنساني الأصيل الذي يحضنا على حفظ الإخوان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوفاء العميق للوطن.

جماهير الجولان السوري المحتل

١٩٨١–٠٣–٢٥

لقد كان للوثيقة الوطنية وقعها المدوي على الاحتلال، فقد التزم أهالي الجولان بمضمون هذه الوثيقة ورفضوا الجنسية الإسرائيلية، وطبق بند المقاطعة على كل من يقبل بها، فحوصر كل الذين تعاملوا مع إسرائيل، وأصبحت الحركة الوطنية سيدة الموقف في الجولان. أما الرد الإسرائيلي فتمثل باعتقالات إدارية لقيادات من الحركة الوطنية وزجهم في السجون الإسرائيلية، لكن بالمقابل استوعبت إسرائيل الدرس وفهمت أن استراتيجيتها بضم الجولان عن طريق السكان قد فشلت، ولذلك بدأت بالعمل على ضم الجولان رسميا لإسرائيل فكان لاحقاً قرار ضم الجولان في الكنيست الإسرائيلي.

لقد كان للوثيقة الوطنية وقعها المدوي على الاحتلال، فقد التزم أهالي الجولان بمضمون هذه الوثيقة ورفضوا الجنسية الإسرائيلية، وطبق بند المقاطعة على كل من يقبل بها، فحوصر كل الذين تعاملوا مع إسرائيل، وأصبحت الحركة الوطنية سيدة الموقف في الجولان. أما الرد الإسرائيلي فتمثل باعتقالات إدارية لقيادات من الحركة الوطنية وزجهم في السجون الإسرائيلية، لكن بالمقابل استوعبت إسرائيل الدرس وفهمت أن استراتيجيتها بضم الجولان عن طريق السكان قد فشلت، ولذلك بدأت بالعمل على ضم الجولان رسميا لإسرائيل فكان لاحقاً قرار ضم الجولان في الكنيست الإسرائيلي في ١٩٨١/١٢/١٤ والذي كان له وقع الصاعقة على سكان الجولان المحتل .[٢٨]

المرحلة الرابعة من نهاية ١٩٨١ حتى نهاية ١٩٨٢:

شهدت هذه الفترة مواجهات علنية بين السكان السوريين في الجولان المحتل وقوات الاحتلال. فقد أعلن السكان وبصوت واحد رفض قرار ضم الجولان لإسرائيل، ورفضوا قبول الجنسية الإسرائيلية والهوية الإسرائيلية المدنية، والتي تعتبر بعد الضم حكماً قانونياً يجب تنفيذه. وكرد على قرار الضم وفرض الجنسية الإسرائيلية أعلنوا الإضراب العام المفتوح في ١٤ شباط ١٩٨٢ . عندما تأكدت إسرائيل أن أهل الجولان لن يقبلوا طوعاً تنفيذ القرار، أقدمت على محاصرة قرى الجولان عسكرياً ، وفصلتها عن بعضها البعض، ومنعت التواصل فيما بينها ، وبدأت في الأول من نيسان ١٩٨٢ دخول بيوت الجولان بيتاً بيتاً، تأخذ منهم عنوة الهوية العسكرية، وتقدم لهم الهوية المدنية، وذلك بعد أن فرضت حالة منع التجول، وحوصر أهل الجولان في بيوتهم لفرض الأمر الواقع عليهم، حصلت اشتباكات مع الجيش، وسقط جرحى من السكان نتيجة إطلاق النار عليهم ، واعتقل عدد كبير من الشباب لرفضهم قبول الهوية المدنية الإسرائيلية، وقد تم تحويل المدارس إلى مراكز اعتقال . ورغم هذا الحصار، رفض أهل الجولان قبول الهويات الإسرائيلية المدنية، فأقدمت قوات الاحتلال على رمي هذه الهويات داخل البيوت، أو على شرفاتها. وبعد إلغاء حالة منع التجول، جمع السكان هذه الهويات في ساحات القرى، معلنين رفضهم القبول بها، واستمرت المواجهات والإضراب العام حتى التاسع عشر من شهر تموز عام ١٩٨٢ .[٢٩]

لقد أقدمت إسرائيل في عام ١٩٨١ على ضرب المفاعل النووي العراقي، كما ذكر سابقاً، مما مهد الطريق لحزب الليكود للفوز مجدداً في الانتخابات وبقائه في السلطة. وغزت إسرائيل لبنان في حزيران من عام ١٩٨٢ لاجتثاث المقاومة الفلسطينية، مستفيدة من التفوق الاستراتيجي الذي نجم عن خروج مصر من معادلة الصراع . فتحول التركيز الإعلامي إلى الحرب، وأصبحت قضية الجولان وضمه على الهامش. عندها سعت إسرائيل لتهدئة الأوضاع في الجولان، مستغلة الظرف الجديد، وأعلنت قبولها طلبات أهل الجولان التي كانوا قد وجهوها في حينه للحكومة الإسرائيلية، كشرط لتعليق الإضراب المفتوح، حيث جاءت الاستجابة الإسرائيلية من خلال مجموعة رسائل أرسلت إلى الشيخ الروحي لسكان الجولان، الشيخ سلمان طاهر أبو صالح، من مكتب وزير الدفاع آنذاك، أريئل شارون، ومن مكتب موشيه أرنس الذي تبوأ هذا المنصب بعد شارون وهي رسائل غير منشورة تضمنت بالخطوط العريضة ما يلي:

١. إسرائيل لن تفرض الجنسية الإسرائيلية على أهل الجولان بالقوة، ولكن ستقدمها لمن يرغب بالحصول عليها طوعاً.

٢. إسرائيل لن تقدم على مصادرة الأراضي والمياه التابعة لقرى الجولان الأربع.

٣. إسرائيل لن تستدعي للخدمة العسكرية أي مواطن من الجولان قبل الجنسية الإسرائيلية بحكم القانون الإسرائيلي، الذي يفرض الخدمة الإجبارية على الدروز الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية في الجليل والكرمل.[٣٠]

على أساس هذه الرسالة، قبل أهل الجولان تعليق إضرابهم الذي استمر أكثر من خمسة أشهر بقليل، وأعلنوا التزامهم بالوثيقة الوطنية، ورفضهم القبول بالجنسية الإسرائيلية، وشددوا الحرم الديني والاجتماعي على كل من يقبل بها. وبالمقابل قرروا استلام الهوية المدنية الإسرائيلية، لتسيير أمورهم الحياتية. وهكذا تحول السكان السوريون في الجولان المحتل وفقاً للقانون الإسرائيلي إلى "مقيمين دائمين -Per manent resident" يدفعون الضرائب، ويتمتعون بالحقوق المنصوص عليها قانونياً للمقيم الدائم، ولكنهم لا يحملون الجنسية الإسرائيلية،حيث ينتج عن ذلك قانونياً أنهم لا يتمتعون بحق الترشح أو التصويت لانتخابات الكنيست الإسرائيلي ولا يحملون ال "Passport" الإسرائيلي، وإنما يعطون بطاقة سفر مسجل فيها في حقل الجنسية : "الجنسية: غير معرف" Undefined". إن وضع أهل الجولان القانوني بعد الضم أصبح مشابهاً تماماً لوضع السكان العرب في القدس، فهم أيضاً بحكم القانون "مقيمون دائمون."[٣١]

استمر الحرم الديني والاجتماعي على أقلية قليلة قبلت الجنسية الإسرائيلية، حيث حوصر هؤلاء ومنع التعامل معهم اقتصادياً واجتماعياً، ونبذوا من المجتمع بشكل كلي، ما جعلهم يطلبون مراراً وتكراراً من إسرائيل إعفاءهم من الجنسية، ليتسنى لهم العودة إلى حضن مجتمعهم. ولكن القانون الإسرائيلي لا يسمح بإسقاط الجنسية عن أي مواطن، إلا إذا غادر إسرائيل لمدة زمنية محددة بالقانون، أو قام بعمل يمس أمن الدولة، عندها يخول وزير الداخلية نزع الجنسية عن حاملها. وطبعاً، هذان الشرطان لم يتوفرا عند أولئك الذين قبلوا بالجنسية الإسرائيلية. وهكذا استمرت هذه المشكلة بالتفاقم حتى اليوم، فعدد هؤلاء يزداد مع الزمن، لأن أولادهم يرثون الجنسية الإسرائيلية عن والديهم بحكم القانون. والأولاد ليس لهم أي ذنب بما فعل آباؤهم، وهكذا تحولت هذه القضية إلى مشكلة أخلاقية ما زالت موضع خلاف حتى يومنا هذا.

شعار من الجولان: لا للركوع.

المرحلة الخامسة: من ١٩٨٣ إلى بداية التسعينات من القرن الماضي:-

انتهى الإضراب، وسلمت إسرائيل بالأمر الواقع، أن أهالي الجولان لن يقبلوا الجنسية الإسرائيلية. فتحولت السياسة الإسرائيلية إلى سياسة العصا والجزرة. فمن جهة استمرت في قمع السكان خصوصاً عند إحيائهم ذكرى الإضراب في ١٤ شباط من كل سنة، وإحياء ذكرى الجلاء في ١٧ نيسان من كل عام. فقد دأبت إسرائيل على استقدام قوة عسكرية كبيرة من الشرطة في محاولة لمنع إحياء هذه المناسبات، وأقدمت على اعتقال الفاعلين والتضييق على السكان، وقد وصلت ذروة المواجهات عندما اضطر شمعون بيريس، رئيس وزراء إسرائيل آنذاك، إلى الخروج من مجدل شمس تحت حماية مشددة خوفاً على سلامته من المتظاهرين الذين هتفوا ضد وجوده في بلدتهم، إثر زيارة قام بها للمجلس المحلي المعين هناك بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٨٦.

بالمقابل سمحت إسرائيل بفتح الباب مجدداً أمام الطلاب الراغبين في استكمال دراستهم في جامعة دمشق بعد أن أغلقت هذا الباب عند ضم الجولان. لقد سمح لأول دفعة طلاب بالدراسة في جامعة دمشق عام ١٩٧٧، ولكن هذا السماح كان مقتصراً على أعداد قليلة سنوياً. وفي منتصف الثمانينيات فتح الباب على مصراعيه، لأن إسرائيل وصلت إلى قناعة أن لا فائدة من إغلاق الباب على السكان ،لأن هذا لن يغير شيئاً من موقفهم من الاحتلال، واعتبرت أنه من الممكن أن تستفيد على المدى البعيد، حيث من مصلحتها أن يتعرف هؤلاء الشباب على الواقع المأساوي في بلادهم، ما يؤدي إلى احباطهم مع الزمن. وبالفعل أتيحت الفرصة لمئات الطلاب لاستكمال دراستهم في جامعة دمشق، كذلك سمحت لعشرات الطلاب استكمال دراستهم الجامعية في الاتحاد السوفياتي سابقا، من خلال منح قدمت لأبناء الجولان عن طريق الحكومة السورية. وبعد سنوات بدأ الخريجون بالعودة

لقد تميزت هذه الفترة ايضاًببدء تدخل أجهزة الأمن السورية مباشرة بما يجري في الجولان. فقد حاولت، وبوسائل مختلفة، التدخل في مجريات الأحداث، وكانت تصيب مرة وتخطئ مرات عديدة، وساهمت الزيارة السنوية التي يقوم بها رجال دين من الجولان إلى الوطن بزيادة تأثير هذه الإجهزة، ما زاد اتساع شقة الخلاف في الجولان. وكل ذلك كان يجري على مرأى ومسمع من الاحتلال، الذي ترك الأمور تسير على طبيعتها، مستفيداً من التناقضات بين السكان، حيث استوعبت إسرائيل أن سياسة العصا تأتي عليها بنتائج عكسية.

إلى الجولان لينضموا إلى سوق العمل، وليساهم القسم الفاعل منهم في العمل المؤسساتي الذي لم يكن سائداً في الجولان.

مع الزمن، تراكم عدد الخرجين، وبدأت تتشكل مؤسسات مثل رابطة الطلاب الجامعيين، والتي كانت تشرف على إقامة نشاطات ثقافية مختلفة، ومنها مخيمات سنوية للأطفال، لتشكل بديلا وطنياً لمخيمات المجلس المحلي المعين من سلطة الاحتلال، هذا إضافة إلى نواد رياضية اجتماعية أخذت على عاتقها إقامة دوري رياضي سنوي لقرى الجولان، لتدارك دخول الشباب في النوادي والليغا الإسرائيلية(الدوري الإسرائيلي). ولكن مع الزمن أخذت تتآكل هذه المؤسسات من داخلها لأسباب كثيرة، منها نقص التمويل والصراعات الاجتماعية السياسية داخل المجتمع بين مؤيد للنشاط ومعارض له، وتدريجياً ساهم أيضاً العامل الأيديولوجي في إضعاف هذه المؤسسات، وبدأت الخلافات تتسرب إلى داخلها وتنعكس على الصف الوطني من المؤيدين للنظام السياسي في سورية والمعارضين له. وأخذت المرأة التي خرجت مع الرجل في زمن المواجهات تطالب بدور اجتماعي سياسي جديد، حيث رفضت النساء العودة إلى البيوت وتشكلت مؤسسات تمثلهن، مثل الاتحاد النسائي في الجولان. بدأت تدريجياً تتسع شقة الخلافات في الصف الوطني خصوصاً عند تأسيس

الجمعية العربية للتطوير،[٣٢] التي أسست وفقاً لترخيص الجمعيات الإسرائيلية، فعارضتها مجموعات مختلفة بحجة خطر الأسرلة. ولكن بقي أهل الجولان موحدين في وجه الاحتلال، وقد ساهم في وحدتهم هذه سياسة العصا التي اتبعتها إسرائيل في المناسبات الوطنية كما ذكر سابقاً.

ومن الجدير ذكره هنا، انه بعد الإضراب وتحديداً في عام ١٩٨٥ ، كشفت إسرائيل شبكات جديدة منظمة تعمل بشكل سري ضد الاحتلال، وقد تم اعتقال عشرات الشباب وحكمت عليهم أحكاماً تأديبية عالية، تراوحت بين ١٠ و ٢٧ عاماً. والفارق بين معتقلي السبعينات ومعتقلي الثمانينات يتمثل بثلاثة عوامل، أولاً تشكلت الموجة الأولى في ظل هزيمة ١٩٦٧ وفي ظل الإحباط الذي ساد بعد الحرب، فكانوا بعملهم طليعيين وشكلوا نواة الحركة الوطنية الوليدة في الجولان، بينما الموجة الثانية كانت نتيجة للمد الوطني وحالة المقاومة العامة في الجولان. وثانياً متوسط أعمار الشريحة المعتقلة في الموجة الأولى كانت أكبر من متوسط أعمار الموجة الثانية، فغالبية المعتقلين في الثمانينات كانوا شبابا في مقتبل العمر. وثالثاً ارتبط معظم المعتقلين في السبعينات بالأمن السوري، أما موجة الثمانينات فكانت أكثر استقلالية في عملها.[٣٣]

لقد تميزت هذه الفترة ايضاً ببدء تدخل أجهزة الأمن السورية مباشرة بما يجري في الجولان. فقد حاولت، وبوسائل مختلفة، التدخل في مجريات الأحداث، وكانت تصيب مرة وتخطئ مرات عديدة، وساهمت الزيارة السنوية التي يقوم بها رجال دين من الجولان إلى الوطن بزيادة تأثير هذه الإجهزة، ما زاد اتساع شقة الخلاف في الجولان. وكل ذلك كان يجري على مرأى ومسمع من الاحتلال، الذي ترك الأمور تسير على طبيعتها، مستفيداً من التناقضات بين السكان، حيث استوعبت إسرائيل أن سياسة العصا تأتي عليها بنتائج عكسية، ولذلك قررت تغيير استراتجيتها، فتنازلت عن سياسة العصا، وتوقفت عن استجلاب قوات من الشرطة لقمع السكان عند إحيائهم للمناسبات الوطنية، وأبقت على قوات رمزية خارج القرى للحالات الطارئة.

بدأ الترهل يصيب جسد الحركة الوطنية، حيث أصبحت المواقف بلا ثمن، مما شجع الكثيرين على الانخراط في العمل الوطني. فأفرغت الحركة الوطنية تدريجياً من مضمونها، ولم يبق من المواقف إلا الجانب الرمزي لها، وهو الإضراب الذي كان يلتزم

سمحت إسرائيل أيضاً بتسويق منتجات التفاح إلى الأسواق السورية، حيث كان لهذه الخطوة تأثيران متناقضان، فمن جهة، تسويق التفاح إلى الأسواق السورية يقوي الرابط بين الجولان والوطن، ومن جهة أخرى هو ورقة بيد إسرائيل للمساومة وَقت شاءت. ويجب أن لا نغفل في هذا السياق المصلحة الإسرائيلية من مثل هذه الخطوة، فمستوطنات الجولان لها مصلحة في إخراج تفاح سكان قرى الجولان من الأسواق الإسرائيلية ليتسنى لها التحكم فيها، ولكن تبقى هذه الخطوة لمصلحة السكان السوريين، لأنها تحافظ على حد أدنى مقبول من الأسعار، ما يشجع السكان على تطوير الزراعة والتمسك بالأرض.

به الجميع في هذه المناسبات. فما أن وصلنا بداية التسعينات من القرن الماضي حتى أضحت المواقف الوطنية أشبه بالكرنفال الاحتفالي، وقد ساهمت أجهزة الأمن السورية في وصول الحركة الوطنية إلى هذا الوضع، حيث حولت المناسبات الوطنية إلى مناسبات للتحية، وإعلان الولاء للنظام السياسي في سورية.

المرحلة السادسة: من بداية التسعينات حتى بداية الثورة السورية في آذار ٢٠١١:

تميزت هذه الفترة بتزايد ضعف الحركة الوطنية وانقساماتها، فغابت المركزية عن المجتمع الجولاني، بسبب رحيل عدد من القيادات الوطنية التقليدية، كذلك بدأت تتفكك البنية العائلية للمجتمع نتيجة للحداثة، وبدأ يظهر تدريجياً تأثير قيم الحضارة الغربية على الجيل الصاعد على مستوى الذكور والإناث. فبدأت إسرائيل اتباع سياسة جديدة يمكن أن نسميها استراتيجية النخر، أي النخر في النسيج الإجتماعي، فقد بدأت تركز على المدارس، والجيل الصاعد المتأثر بالحداثة و بقيم الثقافة الغربية العامة، وقضايا الحرية والديموقراطية التي يلمسها داخل المجتمع الإسرائيلي. وكانت دائماً عملية المقارنة، بقصد أو بغير قصد، مع الواقع العربي الذي يعيش حالة من التخلف والتعصب، لمصلحة إسرائيل. فأدخل الاحتلال برامج جديدة إلى المدارس هدفها التشجيع على الأسرلة.[٣٤] بالمقابل حاول السكان، ولأول مرة منذ الاحتلال، التدخل في الشؤون التعليمية والتربوية، بما يتيحه القانون الإسرائيلي، عن طريق تشكيل لجان "أولياء أمور" التي عنيت بمتابعة شؤون التعليم في المدارس.

سمحت إسرائيل أيضاً بتسويق منتجات التفاح إلى الأسواق السورية، حيث كان لهذه الخطوة تأثيران متناقضان، فمن جهة، تسويق التفاح إلى الأسواق السورية يقوي الرابط بين الجولان والوطن، ومن جهة أخرى هو ورقة بيد إسرائيل للمساومة وَقت شاءت. ويجب أن لا نغفل في هذا السياق المصلحة الإسرائيلية من مثل هذه الخطوة، فمستوطنات الجولان لها مصلحة في إخراج تفاح سكان قرى الجولان من الأسواق الإسرائيلية ليتسنى لها التحكم فيها، ولكن تبقى هذه الخطوة لمصلحة السكان السوريين، لأنها تحافظ على حد أدنى مقبول من الأسعار، ما يشجع السكان على تطوير الزراعة والتمسك بالأرض.

لا شك إن تشابك العلاقات بين السكان السوريين في الجولان ووطنهم له تأثيرات ايجابية وسلبية في آن واحد على المجتمع السوري في الجولان. فالعلاقة القوية والمؤثرة تفرمل عملية الأسرلة، خصوصاً تلك العلاقة التي لها ترجمة اقتصادية مؤثرة على المستوى المعيشي للسكان تحت الاحتلال، مثل تسويق التفاح في الأسواق السورية، وتعويض المتضررين الذين فصلوا من وظائفهم بسبب مواقفهم الوطنية، واستكمال دراسة أبناء الجولان في الجامعات السورية. وأراد أهل الجولان دائماً استكمال هذه العلاقة بالسماح لهم بزيارة وطنهم والتواصل معه وقت أرادوا، وكان من المؤلم لهم عدم قدرتهم على القيام بذلك، خصوصاً في أوقات الأفراح والأتراح، ومما زاد الألم، موقف أجهزة الأمن السورية التي كانت تصر دائماً على إبقاء معبر القنيطرة/ المعبر الوحيد المسموح به لمرور أهل الجولان المحتل، الأمرالذي ترك المجال لإسرائيل للتحكم بكل شروط العبور. وقد تفاءل السوريون في الجولان عندما أصدرت الرئاسة السورية عام ٢٠٠٧ توجيهاً بإصدار رقم وطني لكل مواطن سوري من الجولان المحتل يطلب ذلك، ظناً منهم أن ذلك يمكن أن يشكل حلاً بديلاً لزيارة وطنهم عبر أي طريق كانت، لأنهم يحملون أوراقا ثبوتية سورية أسوة بأي مواطن سوري آخر، ولكن النتيجة كانت مخيبة للآمال فلم يتغير شيئ على أرض الواقع.[٣٥]

لقد جاءت الثورة السورية في آذار من عام ٢٠١١ لتدق المسمار الأخير في نعش العمل المشترك. فقد تميزت هذه الفترة بتفتت الحركة الوطنية، وشلل عملها المشترك في الجولان السوري المحتل كلياً، فقد انقسمت الحركة الوطنية بين مؤيد ومعارض للنظام، ووصلت التناقضات إلى مرحلة المواجهة وتخوين كل من أيد الثورة، ووقف ضد الحل الأمني الذي مارسه النظام. ففقدت الحركة الوطنية فعاليتها، وشلت بشكل نهائي، وأثّر هذا التناقض ليس فقط على العمل الوطني، وإنما أيضاً على الحياة الاجتماعية ، فقد وصلت الأمور الى مرحلة المقاطعة في المناسبات الوطنية وحتى الاجتماعية.

من جهة أخرى، فإن زيادة تشابك المصالح بين أهل الجولان السوري المحتل وبين وطنهم زاد من تأثير أجهزة الأمن السورية عليهم، وتحولت هذه الأجهزة مع الزمن إلى قوة فاعلة ومؤثرة في حياة السوريين المحتلين. ومع الزمن تشكلت مجموعة مستفيدة من هذه العلاقة تضرب بسيف هذه الأجهزة، ما زاد من تعقيد المشهد أكثر، وزادت التناقضات الاجتماعية والسياسية. ووصل الاستقطاب داخل الحركة الوطنية إلى مرحلة لم تفلح معها أي محاولة اجتماعية لرأب الصدع بين أطرافها. ولكن حافظ جميع الأطراف على الحد الأدنى من العمل المشترك.

لعبت محادثات السلام بين سورية وإسرائيل دوراً إيجابياً في الحفاظ على العمل المشترك داخل الحركة الوطنية، فهذه العملية خلقت نوعا من الأمل أن موعد الخلاص من الاحتلال قد اقترب، ويجب أن نحافظ على أدوات العمل المشترك بأي ثمن، حتى لا تستفيد إسرائيل من هذه الانقسامات. ولقد ساعد في ذلك استمرار المفاوضات بين إسرائيل وسورية في فترات مختلفة من بداية التسعينات وحتى منتصف العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ، بدءاً بمؤتمر مدريد، في زمن رئاسة اسحق شمير للوزراء في مطلع التسعينات، مروراً بفترات رابين وبيريس ونتنياهو وإيهود براك وإيهود أولمرت، وانتهاءَ بالوساطة التركية بين سورية وإسرائيل، والتي استمرت أكثر من ١٥ عاماً بشكل متقطع، وكان لها فعل الدواء المهدئ . لا شك إذن، أن هذه المحادثات أثرت على سكان الجولان المحتل، من حيث أنها شكلت بارقة أمل لعودة الجولان الى سورية، وساهمت في استمرار تماسك العمل الوطني فيه رغم هشاشته وضعفه.[٣٦]

المرحلة السابعة منذ اندلاع الثورة في سورية آذار ٢٠١١ حتى اليوم:

لقد جاءت الثورة السورية في آذار من عام ٢٠١١ لتدق المسمار الأخير في نعش العمل المشترك. فقد تميزت هذه الفترة بتفتت الحركة الوطنية، وشلل عملها المشترك في الجولان السوري المحتل كلياً، فقد انقسمت الحركة الوطنية بين مؤيد ومعارض للنظام، ووصلت التناقضات إلى مرحلة المواجهة وتخوين كل من أيد الثورة، ووقف ضد الحل الأمني الذي مارسه النظام. ففقدت الحركة الوطنية فعاليتها، وشلت بشكل نهائي، وأثّر هذا التناقض ليس فقط على العمل الوطني، وإنما أيضاً على الحياة الاجتماعية ، فقد وصلت الأمور الى مرحلة المقاطعة في المناسبات الوطنية وحتى الاجتماعية.

استغلت سلطة الاحتلال هذه الفرصة، وبدأت بتسريع سياسة الأسرلة، فقطعت كل علاقة بين السكان وبين وطنهم الأم سورية، وقلصت بشكل كبير عملية إرسال الطلاب للدراسة في جامعة دمشق، وأوقفت أيضاً نقل التفاح ليباع في الأسواق السورية. بالمقابل بدأت بإغداق الأموال على المجالس المحلية المعينة من قبلها من أجل إقامة مشاريع مهمة في المنطقة، من بناء مدارس على الطراز الحديث، وتحديث الطرقات، وتحويل المنطقة إلى منطقة سياحية. هذا ناهيك عن البرامج التي أدخلت إلى المدارس لتسريع وتيرة الأسرلة، وفي خطوة تظاهرية رفعت الأعلام الإسرائيلية على المدارس، وزادت الشرطة من حضورها داخل القرى، وشجعت انضمام الفرق الرياضية إلى الليغا الإسرائيلية. تهدف هذه السياسة الجديدة بلا شك لجعل هذا الجيل الصاعد المتأثر بالحداثة، يقارن بين "رفاهيته" تحت الاحتلال، وبين ما يجري من قتل وتدمير في وطنه، ليصل إلى نتيجة مفادها أن من مصلحة

السكان في الجولان أن يبقوا تحت الاحتلال الإسرائيلي.

إن استراتيجية إسرائيل الجديدة تعيدنا إلى سنوات السبعين، وتهدف إلى ابتلاع الجولان بشكل كلي، وتحويله إلى لواء أسكندرونة ثان. لم تخف إسرائيل رغبتها في ذلك عندما طلبت حكومة نتنياهو من دول العالم الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على الجولان، وقامت بخطوة رمزية بعقد اجتماع للوزارة الإسرائيلية في الجولان بتاريخ ٢٠١٦/٤/١٧ متزامناً مع احتفال سورية بعيد الجلاء.[٣٧] فاستراتيجية إسرائيل الجديدة تسعى، ليس فقط للسيطرة على الجولان، وإنما أيضاً لاحتلال كل قرى سفح جبل الشيخ في حال تقسيم سورية، وهي قرى تنتمي بغالبيتها إلى الطائفة الدرزية، ما يعيدنا من جديد إلى سنوات ما بعد الاحتلال ومشروع التقسيم الطائفي. ولكي تسهل هذه المهمة عليها في حال حصل التقسيم في سورية، تقوم إسرائيل بتغذية النبرة الطائفية والتحريض، حيث تدعم جبهة النصرة المتواجدة في القسم الذي لم يحتل من الجولان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى توهم سكان الجولان أنها هي من تحمي الدروز(في قرية حضر وباقي القرى الواقعة على سفح جبل الشيخ) من جبهة النصرة. وكذلك قامت بتجييش دروز الجليل والكرمل من أجل نصرة اخوانهم الذين يتعرضون لمحاولة إبادة من قبل جبهة النصرة، كما تدعي إسرائيل. ولقد ساهمت جبهة النصرة بدورها في تسويق السياسة الإسرائيلية، بقصد أو بغير قصد، حين أقدمت على قتل العشرات من الدروز في قرية "قلب لوزة" في محافظة إدلب بدون محاسبة الجناة مما زاد من خوف الدروز منها.[٣٨]

إن ما أقدم عليه بعض الشباب في مجدل شمس، بمهاجمة سيارة الإسعاف التي أقلت مقاتلين جرحى من جبهة النصرة،كما أشيع عند وقوع الحادثة، كان تدبيراً إسرائيلياً بامتياز، يصب في سياسة التجييش الطائفي. فعادة، تنقل إسرائيل الجرحى من القنيطرة مباشرة للمستشفيات الإسرائيلية، دون الدخول إلى قرى الجولان، ولكن هذه المرة، أدخلت إسرائيل سيارة الإسعاف داخل مجدل شمس بشكل تظاهري، ونشرت دعاية مفادها أن داخل السيارة جرحى من جبهة النصرة الذين يقتلون الدروز، فوقع العشرات من الشباب ضحية لهذه الدعاية، فأقدموا على مهاجمة سيارة الإسعاف المحمية من الجيش الإسرائيلي، حيث جرّت سيارة الإسعاف هؤلاء الشباب إلى منطقة يوجد فيها كاميرات لتصوير الحادثة وعرضها على التلفزيون الإسرائيلي، فتتناقلها وسائل الإعلام العربية، وبخطوة مفاجئة انسحب الجيش الإسرائيلي، الذي كان يحمي سيارة الإسعاف، تاركاً الجرحى لمصيرهم، مع أنه كان حتماً قادراً لو أراد أو تلقى أمراً بذلك، على صد هؤلاء الشباب ومنعهم من الاقتراب من السيارة. هذه السياسة تهدف، دون شك، لزرع الفتنة وزيادة الكراهية الطائفية، حيث يتسنى لإسرائيل، لاحقاً، احتلال جبل الشيخ، بحجة حماية الدروز من جبهة النصرة، ووقف نزيف الدم في هذه المنطقة. طبعاً، إن ما ذكر، لا يعفي من قام بهذا العمل ومن حرضهم، من المسؤولية الأخلاقية. فهو عمل همجي بربري يتنافى تماماً مع قيم السكان السوريين في الجولان المحتل، وقد استنكره الجولانيون بغالبيتهم العظمى، ولكن يبدو أن السياسة الإسرائيلية بدأت تؤتي أكلها في تخريب الجيل الصاعد، ويجب أن يدق هذا ناقوس الخطر عند من يتحملون مسؤولية وطنية في هذا المجتمع.[٣٩]

إن إسرائيل تمتلك الكثير من المخططات، وذلك وفقاً للسيناريوهات المرسومة لسورية، وتتحين الفرصة لتحقيقها. ولكن تبقى هناك حقيقة واحدة واضحة وضوح الشمس ليست بحاجة إلى تحليل وتمحيص، وهي ان إسرائيل تريد أن تبقي على الجولان تحت سيادتها في أي سيناريو قادم في سورية، وتعمل ما بوسعها لتحقيق ذلك. فإذا لم تتصد سورية المستقبل لهذه السياسة، وتأخذ القوى الفاعلة على الأرض، وبكل أطيافها، دورها في تخفيف التوترالطائفي، فمن الممكن أن تتحول أهداف إسرائيل لأمر واقع، عندها سيصبح الجولان لواء إسكندرونة ثانياً بمباركة دولية. من هنا يجب على كل القوى الشريفة والوطنية السورية أن تتعامل مع هذا التهديد بجدية، رغم الصعاب وشلالات الدم في الوطن. وبالمقابل يقع على عاتق أهل الجولان المحتل، والحركة الوطنية تحديداً، مسؤولية بلسمة جراحها وإعادة لملمة نفسها، للمحافظة على وجه الجولان السوري مهما غلت التضحيات.

خاتمة واستنتاجات:

بعد هذا الاستعراض، نسجل أولا بعض الخلاصات العامة :

- ولدت الحركة الوطنية في الجولان من رحم المعاناة والهزيمة في حزيران ١٩٦٧ . وترعرعت في ظروف محلية واقليمية صعبة. ولكنها استطاعت أن تشق طريقها مستفيدة من الأحداث التي تدور حولها على المستوى المحلي والإقليمي. وصلت هذه الحركة إلى أوج قوتها في منتصف الثمانينات، ولكنها بدأت بالتراجع تدريجياً نتيجة دخول العامل الإيديولوجي والشخصي إليها، والتدخلات غير الموفقة، التي بدأت في منتصف الثمانينات، من قبل أجهزة الأمن السورية من جهة،

ونتيجة للإستراتيجيات الإسرائيلية، التي سعت لتفتيت وتقويض الحركة الوطنية في الجولان من جهة ثانية.

- رأينا أيضاً ومن خلال هذا الدراسة، أن إسرائيل اتبعت استراتيجيات مختلفة في مواجهة السكان السوريين في الجولان المحتل وحركتهم الوطنية، بدءاً بإستراتيجية التقسيم،إلى استراتيجية القهر والفرض، مروراً باستراتيجية العصا والجزرة، ومن بعدها استراتيجية النخر في النسيج الإجتماعي الجولاني، وصولاً إلى إستراتيجية الأسرلة الكلية، لتعود من جديد لإستراتيجيتها الأولى في التقسيم مستفيدة من الواقع العربي المتردي عامة والسوري خاصة.
- تجدر الإشارة هنا، أن النظام السياسي في سورية تفاجأ بأحداث الجولان، وكان متلقياً حتى عام ١٩٨٣ ، ولم يكن الجولان حاضراً في الإعلام السوري حتى عام ١٩٨٢ ، عندما ألقى الرئيس حافظ الأسد خطابه في ٨ اذار من ذلك العام، على خلفية أحداث الإخوان المسلمين في سورية.[٤٠] ومنذ ذلك الحين بدأ يزداد التدخل في شؤون السكان المحتلين، والذي كان يصيب مرة ويخيب مرات عديدة، فقد ساهم في خلق البلبلة على الساحة الوطنية في الجولان، من خلال محاولة تجيير كل ما يجري من أحداث فيه لمصلحة النظام وتوجيهاته.
- لقد كانت وطنية أهل الجولان حتى منتصف الثمانينات، ناصعة، نقية، صادقة، بسيطة ونابعة من داخلهم، متمثلة بارتباطهم بالوطن السوري بكليته، فلم يطلعوا الى حينه على الواقع السياسي السوري. ولكن بعد بدء عودة الطلاب الدارسين في جامعة دمشق، وبعد زيارات رجال الدين الى الوطن، بدأت تتكشف الصورة الحقيقية للواقع السياسي السوري، وبدأت تتشوه الهوية الوطنية البسيطة النقية لأهل الجولان، ومع الزمن دخل الخلط ما بين مفهوم الوطن وبين النظام .فهناك من اعتبر أن الولاء للوطن يأتي من خلال الولاء للنظام، وهناك من رفض ذلك. وهكذا بدأت الانقسامات تأخذ طريقها الى الحركة الوطنية، وتجذرت أكثر عندما بدأت المجموعة الأولى الموالية للنظام تستقوي به للي ذراع المجموعة الأخرى.

بعد هذه الخلاصات العامة يمكن الوصول الى الاستنتاجات التالية:

١. لقد كان سكان الجولان، ممن بقوا في أرضهم، أو الذين فرضت عليهم المغادرة، ضحية دولة غاصبة توسعية، تمتلك رؤية مستقبلية لما تريده من جهة، وضحية نظام فاشل لم يمتلك رؤية ولا مقومات الصمود والدفاع عن الوطن من جهة أخرى.
٢. لم يكن إخلاء الجولان من سكانه أمرا قدريا ومحتوما لا يمكن تجاوزه، بل كان بالإمكان التعامل مع هذا التهديد بشكل مغاير لو توفر الوعي والإرادة والإصرار على البقاء أسوة بأهل القدس والضفة الغربية الذين تعلموا من تجربة الترحيل عام ١٩٤٨ . واعتقد أنه إذا أعاد التاريخ نفسه ستكون النتائج مختلفة خصوصا بعد تجربة اللجوء التي تعرض لها سكان الجولان السوري الذين فرضت عليهم المغادرة.
٣. لقد كان لأهل الجولان المحتل الدور الأساسي في إفشال مخطط التقسيم الطائفي في سورية ولبنان، وساهموا في إنجازات الجيشين السوري والمصري في حرب تشرين ١٩٧٣ ، من خلال نقلهم لمخططات مرصد جبل الشيخ، وخط بارليف، للجانب العربي قبل الحرب.
٤. لقد استطاع سكان الجولان، وعبر مسيرة طويلة، تشكيل حركة وطنية دون مساعدة النظام السياسي في سورية. هذه الحركة واجهت إسرائيل وسياستها، وكسبت فيها المواجهة الأولى، من خلال إفشال مشروع ضم الجولان عن طريق السكان، ورفض قبول الجنسية الإسرائيلية والتمسك بانتمائهم لوطنهم الأم سورية.
٥. لقد خاض السكان إضراباً عاماً ومفتوحاً في ١٤ شباط ١٩٨٢ ، استمر أكثر من خمسة أشهر بقليل، رفضاً لقرار الضم الذي أعلنته إسرائيل، وواجهوا خلاله القوات الإسرائيلية، بإرادة صلبة لا تلين، وحققوا إنجازاً مهما دون أي دعم يذكر من أي جهة كانت، إلا من الحركة الوطنية الفلسطنية داخل الخط الأخضر، ومن الضفة الغربية وقطاع غزة.
٦. لقد بدأت بوادر الانقسام والترهل تظهر على الحركة الوطنية في الجولان نتيجة دخول أيديولوجيات مختلفة إليها، ما ساهم في اتساع شقة الخلافات، وفقدت أطرافها القدرة على الالتقاء على حد أدنى مشترك،

وساهم أيضاً في ذلك، تعاطي النظام الخاطئ مع أحداث الجولان، حيث لم يمتلك هذا النظام، أي مشروع وطني، وكان سلوكه عبارة عن ردود أفعال على يجري من أحداث في الجولان.

٧. لقد كان لاندلاع الثورة في سورية تأثير كبير على الحركة الوطنية في الجولان، فقد تفتت وشلت واستغلت إسرائيل هذا الوضع في تسريع عملية الأسرلة.

٨. إن إسرائيل تحاول اليوم، وبجدية، الإبقاء على الجولان تحت سيادتها، مستغلة الأحداث الجارية في سورية. وهي لا تكتفي بهذا، بل وضعت الخطط للاستيلاء على مناطق جديدة من سورية، في حال تقسيمها، مثل قرى سفح جبل الشيخ والتي تنتمي بغالبيتها للطائفة الدرزية، لتعيد إحياء المخطط القديم بإنشاء دويلات طائفية على أنقاض سورية ولبنان، خصوصاً أن الأجواء مؤاتية لهكذا مشاريع محلياً ودولياً. فمخطط إقامة دولة كردية في الشمال السوري، ومخطط سورية المفيدة، والحديث الدولي عن التقسيم، كلها تصب في مصلحة إحياء إسرائيل لمخططاتها التقسيمية. وتبقى الضمانة الوحيدة لإفشال هكذا مخططات، وعي الشعب السوري لما يحاك له من مؤامرات ورفضها، وإيجاد صيغة للانتقال السياسي، تمنح سورية الفرصة للتعافي والعودة إلى ساحة الأحداث قوية موحدة بكل أطيافها.

الهوامش

١ ايال زيسر، بين إسرائيل وسورية– حرب الستة أيام وما بعدها. (**عيونيم بتكومات يسرائيل**، ٨، ١٩٩٨)، ص ٢٤٠. (بالعبريّة)

٢ ايغال كيبنس، **المشهد العام للإستيطان في الجولان**. رسالة ماجستير. (حيفا: جامعة حيفا، ٢٠٠٢)، ص ٣٣. (بالعبريّة)

٣ يغال كيبنس، الخارطة الاستيطانية في الجولان عشية حرب الستة أيام. (**كاتدره، ١١٦، تموز ٢٠٠٥**)، ص ١٢٣. (بالعبريّة)

٤ رامي طال. محاسبة للنفس. **يديعوت احرونوت**، ٢٧ حزيران ١٩٩٧.

٥ ايال زيسر، ص ٢٠٧.

٦ أرييه بار أون. **طابع شخصي – موشيه ديان في حرب الأيام السته وما بعدها**. (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، ١٩٩٧)، ص٥٥. (بالعبريّة)

أنظر أيضاً : موشيه ديان، **مذكراتي**. (بيروت: دار القدس، ١٩٧٩)، ص ٣٠٦.

٧ أرييه بار أون ، ص ٨٢.

٨ ايال زيسر، ص ٢٣٦.

٩ موشيه ماعوز، **إسرائيل– سورية؛ نهاية النزاع؟!**. (تل أبيب: دار النشر معاريف، ١٩٩٦)، ص ٩٧. (بالعبرية)

10 Andrew Beattie, Timothy Pepper, *The Rough Guide to Syria* 2nd edition. (London: Rough Guides Lmtd, 2001), P.146

11 Jeremy Bowen, *Six Days: How the 1967 War Shaped the Middle East*. (Simon & Schuster Ltd, 2003), p. 304.

١٢ موشيه ديان ، ص ٣٠٤.

١٣ صادق جلال العظم، **النقد الذاتي بعد الهزيمة**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩)، ص. ٦٩ –٩٢

١٤ بلغ تعداد سكان القدس الشرقية سنة ٢٠٠٠ نحو٢٠٩ آلاف نسمة انظر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3

15 M.Oren, Six Days of War, (Neaw York: Ballantine Books 2002), p. 301

١٦ حول فرار العقيد أحمد المير أنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%B1

١٧ حول هذا الموضوع أنظر: https://www.youtube.com/watch?v=PfhTLb1J6vM

وأنظر أيضاً: https://www.youtube.com/watch?v=j7NttAhi1Dk

١٨ أنظر: ثائر أبوصالح، **موجز قصة الثورة السورية في إقليم البلان**، (الجولان،٢٠٠١) .

يمكن قراءة الكتيب على الرابط التالي: (شوهد في نيسان ٢٠١٧) : www.daliluk.com/news/read_news.asp?sn=14698

كذلك يمكن المعاينة على الرابط التالي لمكتبة جامعة حيفا: http://digitool.haifa.ac.il/webclient/DeliveryNotAllow.jsp (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

١٩ محمد خالد قطمة، **قصة الدولتين المارونية والدرزية**، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٥).

- غالب أبو مصلح، الدروز **في ظل الاحتلال الإسرائيلي**، (بيروت: مكتبة العرفان، ١٩٧٥).
- شمعون افيفي، **سدر النحاس، السياسة الإسرائيلية تجاه الطائفة الدرزية ١٩٤٨–١٩٦٧**. (القدس: ياد يتسحاك بن تسفي، ٢٠٠٧). (بالعبرية).

- ثائر أبوصالح، المواقف السياسية لدروز الجولان. في الجولان بين الحرب والسلام– مجموعة مقالات اعداد موشيه معوز، (معهد ترومان لأبحاث السلام، ١٩٩٩)،ص٨٧–٩٥ (بالعبرية).
- أيمن أبو جبل. من الوثائق الإسرائيلية.. أهالي الجولان يفشلون الـ «دويلة طائفية» العازلة بين سورية ولبنان وإسرائيل، شبكة فولتير،٢٦ أيلول ٢٠٠٧:
- http://www.voltairenet.org/article151723.html (شوهد في نيسان ٢٠١٧)
- أنظر أيضاً برنامج " تحت المجهر" من إنتاج الجزيرة على الرابط التالي:

https://www.youtube.com/watch?v=PDnVY6PxzLU

https://www.youtube.com/watch?v=q_YlcLMmbW4

٢٠ محمد خالد قطمة، ص ١٣٥.

٢١ لقد حرر كمال كنج أبو صالح من الأسر عام ١٩٧٣ ،عبر صفقة تبادل لثلاث طيارين اسرائيليين مقابل اطلاق سراح كمال كنج وخمسة ضباط سوريين، كانوا قد وقعوا في الأسر في لبنان. وقد توالت عليه الإقامات الجبرية، وسجن إداريا مرتين عام ١٩٨١ وعام ١٩٨٢، وتوفي في ١٩٨٣/٩/١٥. للإطلاع على ما قام به كمال كنج أبوصالح يمكن زيارة موقع الجولان على الرابط التالي:

http://www.jawlan.org/openions/asra/kmalknjabusaleh.htm (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

أنظر كذلك كتاب: جورج فارس، **من هو في سورية عام ١٩٤٩**، (دمشق: الوكالة العربية للنشر والدعاية، ١٩٤٩).

٢٢ استشهد الشهيد عزت أبو جبل عام ١٩٧٣. واستشهد نزيه هاني أبو زيد في ليل السابع والعشرين من شهر كانون الأول من العام ١٩٧٦. أنظر أسماء وأعداد المعتقلين وتهمهم وسنوات الحكم على هذا الرابط:

http://www.jawlan.org/openions/read_article.asp?catigory=287&source=3&link=2018

٢٣ أنظر ما كتبه أيمن أبو جبل حول هذا الموضوع:

http://www.jawlan.org/openions/print.asp?catigory=32&source=4&link=1600

٢٤ للاطلاع على اتفاقية كامب دافيد أنظر موقع الجزيرة على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/721d4de2-308a-4e80-a73f-0d840c89944d

٢٥ عرفت هذه العملية بعملية أوبرا لمزيد من المعلومات أنظر الرابط التالي: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9_%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%B1%D8%A7

٢٦ عبد الستار القاسم. **مرتفعات الجولان ١٩٤٨–١٩٦٧**، (بيروت: دار الأمة، ١٩٨٤)، ص ٩٠.

أنظر كذلك حسان شمس ، في ذكرى إضراب الجولان، موقع دليلك في الجولان، ٢٠٠٩/١٢/١٣ على الرابط التالي:

http://www.daliluk.com/news/read_article.asp?sn=4582 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٢٧ نص البيان على: http://www.jawlan.org/openions/declaration.html (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٢٨ النص الأصلي لقرار الضم باللغة العبرية كما جاء مع الخرائط يمكن رؤيته على الموقع الالكتروني للكنيست الإسرائيلي، الرابط التالي:

https://www.knesset.gov.il/review/data/heb/law/kns10_golan.pdf (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٢٩ أنظر ما أرشفه أيمن أبوجبل في موقع jawlan.org من شريط الذكريات (الجزء الأول)

http://www.jawlan.org/openions/read_article.asp?catigory=21&source=9&link=1131 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

كذلك يمكن الإطلاع على كتاب :

عبد الستار القاسم، مرتفعات الجولان، مصدر سابق.

٣٠ هذه الرسالة محفوظة في بيت الشيخ سلمان طاهر أبوصالح . الشيخ سلمان هو الشيخ الروحي لأهل الجولان، ويعتبر من الشخصيات الدينية الوطنية المرموقة، فقد كان حازماً وحاسماً ورفض التفريط بمكتسبات المجتمع، وبهذا شكل نقطة لقاء بين مختلف أطيافه . توفي في شباط من عام ٢٠٠٨.

٣١ حول مفهوم الجنسية والإقامة الدائمة والحقوق والواجبات الناتجة عن ذلك أنظر:

https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%AA%D7%95%D7%A9%D7%91 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٣٢ من أهم نجازات هذه الجمعية هو المجمع الطبي الذي يقدم خدمات طبية على مدار ٢٤ ساعة، وبيت الفن ومسرح عيون، لمزيد من المعلومات أنظر:

http://jawlan.org/openions/read_article.asp?catigory=78&source=2&link=1910 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٣٣ حول الموجة الثانية من الحركة الأسيرة في الجولان أنظر:

http://www.jawlan.org/openions/read_article.asp?catigory=287&source=3&link=2102 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

والجدير ذكره في هذا السياق استشهاد فايز محمود في ٢٣ تشرين ثاني من عام ١٩٩٠ بالرصاص الإسرائيلي على خط وقف اطلاق النار، وقد سبق اعتقاله، اعتقال مجموعة عام ١٩٨٥. كذلك يجدر الإشارة الى استشهاد هايل أبو زيد في ٧ تموز ٢٠٠٥ ، وكذلك استشهاد سيطان الولي في ٢٤ نيسان ٢٠١١ ، بعد أن خرجا من السجن نتيجة اصابتهما بمرض السرطان، وكان قد حكم عليهما مع رفاق لهم بالسجن لمدة ٢٧ عاماً. وينتمون الى الموجة الثانية لسنة ١٩٨٥.

٣٤ أنظر على سبيل المثال مشروع ה"לים (ميلا) الذي تشرف عليه الشرطة الإسرائيلية: https://www.dok.co.il/%D7%94%D7%AA%D7%9E%D7%97%D7%95%D7%AA/%D7%99%D7%99%D7%A6%D7%95%D7%92-%D7%A7%D7%98%D7%99%D7%A0%D7%99%D7%9D/300-%D7%A4%D7%A8%D7%95%D7%99%D7%A7-%D7%98-%D7%9E%D7%99%D7%9C%D7%94 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٣٥ أنظر: http://www.jawlan.org/openions/read_article.asp?catigory=232&source=4&link=2990

٣٦ ثائر أبوصالح. إسرئيل والتسوية مع سورية، **صحيفة السفير**: ملحق فلسطين، نيسان ٢٠١٢

http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=2196 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٣٧ أنظر CNN العربية على الرابط التالي: http://arabic.cnn.com/middleeast/2016/04/17/israel-syria-golan (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٣٨ أنظر ماذا فعلت جبهة النصرة وتحديداً مجموعة أبو عبد الرحمن التونسي في حزيران ٢٠١٥ على الرابط التالي:

http://www.almodon.com/arabworld/2015/6/12/%D8%AF%D8%B1%D9%88%D8%B2-%D9%82%D9%84%D8%A8-%D9%84%D9%88%D8%B2%D8%A9-%D9%8A%D8%B1%D9%88%D9%88%D9%86-%D9%84%D9%80-%D8%A7%D9%84-%D9%85%D8%AF%D9%86-%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B5%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%AC%D8%B2%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٣٩ حول أحداث سيارة الأسعاف أنظر العربية نت على الرابط التالي:

http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/syria/2015/06/24/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AA%D9%88%D9%82%D9%81-%D8%AF%D8%B1%D9%88%D8%B2%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D9%85%D8%A9-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%B9%D8%A7%D9%81-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%86-.html84%D8%A7%D9%86 (شوهد في نيسان ٢٠١٧)

٤٠ خطاب الرئيس حافظ الأسد في ٨ آذار من عام ١٩٨٢ في فترة أحداث الإخوان المسلمين في سورية، حيث قارن بين ما فعله الإخوان في سورية وبين ما يقوم به أهل الجولان في التصدي لإسرائيل ومخططاتها، وقد كان وقع هذا الخطاب ايجابياً على أهل الجولان، فهو أول اهتمام رسمي علني بشؤونهم من جهة، وجاء في فترة الاضراب الذي أعلنوه ضد قرار الضم من جهة ثانية.

المراجع:

كتب في اللغة العربية:

١. أبوصالح، ثائر. **موجز قصة الثورة السورية في إقليم البلان، الجولان**، ٢٠٠١.

٢. أبو مصلح، غالب، **الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي**، بيروت: مكتبة العرفان، ١٩٧٥.

٣. جورج فارس، **من هو في سورية عام ١٩٤٩**، دمشق: الوكالة العربية للنشر والدعاية، ١٩٤٩.

٤. العظم، صادق جلال، **النقد الذاتي بعد الهزيمة**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩

٥. القاسم، عبد الستار، **مرتفعات الجولان ١٩٦٧–١٩٨٤**، بيروت: دار الأمة، ١٩٨٤.

٦. ديان، موشيه، **منكراتي**. بيروت: دار القدس، ١٩٧٩ (مترجم الى اللغة العربية)

٧. قطمة، محمد خالد، **قصة الدولتين المارونية والدرزية** (الطبعة الثانية)، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، ١٩٨٥.

كتب ودراسات باللغة العبرية:

١. أبوصالح، ثائر، "هعمدوت هابوليتيوت شل هادروزيم بغولان" (المواقف السياسية لدروز الجولان)، في **هغولان بين ملحاماه لشلوم** (الجولان بين الحرب والسلام) مجموعة مقالات. اعداد موشيه معوز، القدس: معهد ترومان لأبحاث السلام،١٩٩٩.

٢. افيفي، شمعون، **طاس نحوشت: هاميدنيوت هايسرائيليت كلبيه هاعيده هادروزيت ١٩٤٨–١٩٦٧** (سدر نحاس: السياسة الإسرائيلية تجاه الطائفة الدرزية ١٩٤٨–١٩٦٧). القدس: ياد يتسحاك بن تسفي،٢٠٠٧ .

٣. بار أون، اريبه. **حوتم ايشي– موشيه ديان بملحامت شيشت هاياميم فئحاريها** (طابع شخصي– موشي ديان في حرب الأيام السته وما بعدها)، تل أبيب: يديعوت أحرونوت، ١٩٩٧ .

٤. زيسر آيال ، "بين يسرائيل لسورية– ملحاماة شيشت هاياميم وليأحاريها" (بين إسرائيل وسورية– حرب الستة أيام وما بعدها)، **عيونيم بتكومات يسرائيل**، ٨، ١٩٩٨ .

٥. كيبنس، آيغال. **هنوف هايشوفي بجولان** (المشهد العام للاستيطان في الجولان)، رسالة ماجستير، جامعة حيفا، ٢٠٠٢.

٦. كيبنس، أيغال. "همباه هايشوفيت شل هجولان عيرف ملحيمت شيشت هياميم" (الخارطة الاستيطانية في الجولان عشية حرب الستة أيام)، **كاتدره**، ١١٦، تموز ٢٠٠٥.

٧. ماعوز، موشيه. **يسرائيل–سورية سوف هاسخسوخ؟!** (اسرائيل–سورية نهاية النزاع؟!). تل أبيب: دار نشر معاريف، ١٩٩٦.

كتب في اللغة الإنكليزية:

1. Beattie, Andrew, Pepper Timothy. *The Rough Guide to Syria* 2nd edition. London: Rough Guides Lmtd, 2001.

2. Bowen, Jeremy, *Six Days: How the 1967 War Shaped the Middle East*. Simon & Schuster Ltd, 2003.

3. Oren, M. *Six Days of War*. New York: Ballantine Books, 2002